الباب الأول

المصادر الأساسية للتاريخ

- الوثائق
- النقد المادي للوثيقة او الأثر الكتابي
- دور الوثائق
- المسكوكات
- الآثار
- الإشارة المرجعية للوثيقة والمسكوكة والأثر
- الرنوك والشارات والصنج.

obeikandl.com

obeikandl.com

أولاً: الوثائـــق

عندما نذكر علم التاريخ نذكر على الفور الوثائق، والوثيقة هى أرقى أنواع المصادر، ولكن الوثائق درجات وأنواع، فهناك وثائق من الطراز الأول، ونعني بالوثيقة من الطراز الأول تلك الكتابة أو المستند أو الخطاب أو المكتوب أو المعاملات الرسمية التي لم يرد بها كاتبها أو منشؤها أن تكون شاهدا على التاريخ، ومن ذلك عقود البيع والشراء والإيجار والزواج والوقفيات، وقوائم الأسماء وكشوف الحسابات والتقارير السرية.. الخ.

ولتوضيح هذه الفكرة نضرب عدة أمثلة:

١ – لو أنك ذهبت لاستئجار بيت أو شقة فإن صاحب البيت أو الشقة يكتب عقدا يوقع عليه ويوقع عليه المستأجر. عندما أنشأ أو كتب صاحب البيت هذا العقد لم يكن يقصد به أن يكون شاهدا على التاريخ، وإنما قصد إثبات حقه في البيت وضمان حقه في الأجرة، وكذلك المستأجر يريد أن يضمن حقه في حيازة البيت أو الشقة حيازة مؤقتة هي مدة العقد، لم يكن التاريخ في حسبان صاحب البيت أو المستأجر بحال من الأحوال، أو أنهما لم يضعا في اعتبارهما عند كتابة العقد أن طالبا أو باحثا أو مؤرخا سيأتى بعد فترة من الزمن ويحصل على هذا العقد ليتخذه مصدرا للتاريخ.

إذن، لو أن باحثا تاريخيا أراد أن يؤرخ للحياة الاقتصادية أو الظروف الاجتماعية في مصر في مطلع القرن العشرين واستطاع الحصول على عدد مناسب من عقود الإيجار في هذه الفترة ألا يخرج بمعلومات طريفة صادقة.؟!

٢ – وبعض الأشخاص من ذوي المكانة والأملاك يكتبون قبل أن يوافيهم الأجل توصيات أو وقفيات، وهم حين يكتبون ذلك لا يقصدون في الغالب الأعم شهادة التاريخ وإنما يريدون تحقيق إرادة قانونية، لذلك تعد هذه الوثائق أو الوقفيات مصدراً أساسيا وصادقا للتاريخ، وفي بعض المحاكم المصرية عدد كبير من الوقفيات يمكن اعتبارها مصدراً هاماً لدراسة التاريخ المملوكي والعثماني ومن ذلك:

وقفية باسم السلطان قلاوون الصالحي بتاريخ ١٢ صفر ٦٨٥ هـ وهي موجودة في وزارة الأوقاف.

- ووقفية باسم السلطان قايتباي بتاريخ ٢٥ ذي الحجة عام ٨٨١ هـ

- ووقفية باسم السلطان الغوري بتاريخ ٢٠ صفر عام ٩١١ هـ وغير ذلك كثير

٣ - يقوم أستاذ المادة عادة في بعض الجامعات بإحصاء عدد الطلبة الحاضرين والغائبين في كل محاضرة وذلك في كشوف خاصة. وفي نهاية العام أو الفصل الدراسي تعد كشوف بأسماء الطلبة مشفوعا بها تقديراتهم ومدى تفوقهم. ومن الطبيعي أن الأستاذ عندما أنشأ أو كتب كشوف الحضور والغياب لم يكن في ذهنه أبدا أن تكون شاهدا على التاريخ وإنما هو فعل ذلك لأن إدارة الجامعة طلبت منه ذلك، أو لأن ذلك جزء من عمله أو لأن ذلك هو النظام المتبع في الجامعة، وكذلك الحال بالنسبة لكشوف نتائج الامتحانات. فلو أراد باحث بعد فترة من الزمن أن يؤرخ للجامعة وأن يتعرض لمدى انضباط الطلبة وتفوقهم في الفترة موضوع البحث فإنه إن رجع إلى هذه الكشوف في أرشيف الجامعة، فإنه بذلك يكون قد حصل على وثائق من الطراز الأول نادراً ما تؤتي نتائج كاذبة.

ونفس الشيء يقال عن كشوف رواتب الموظفين، وكشوف تحديد أسعار السلع التي تصدرها البلدية أو غرفة التجارة أو غيرها من المؤسسات. لو عثر باحث على هذه الكشوف في فترة زمنية بعينها فإنه يستطيع أن يكتب بحثاً صادقاً ورائعاً عن أحوال الناس الاقتصادية والاجتماعية بمقارنة كشوف الرواتب أو المعاشات بكشوف أسعار السلع.. وهكذا.

٤ - وتزداد قيمة الوثائق إذا كانت سرية خاصة في موضوعات أو مجالات بعينها ومن الطبيعي أنها - أي الوثائق كانت سرية وقت صدورها ولكن الباحث يمكنه الحصول عليها بعد مرور المدة القانونية التي يحددها الأرشيف التاريخي أو دار الوثائق التاريخية كما بينا في الفصل الخاص بدور الوثائق أو المحفوظات. وترجع أهمية هذه الوثائق أو المراسلات السرية إلى أنها في بعض الحالات تذكر النوايا الحقيقية أو الاتجاهات الحقيقية أو الواقع الفعلي.. وجميعها يتعذر لسبب أو لآخر الإعلان عنها.

والأمثلة على ذلك عديدة لكنني سأضرب مثلا بثلاث وثائق نشرها الأستاذ الدكتور شوقي

الجمل في مجموعة وثائقه المعنونة: الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الأحمر (١٨٦٣ - ١٨٧٩) ورابعة نشرها الدكتور السيد يوسف نصر في مجموعة وثائقه المعنونة: الوثائق التاريخية للسياسة المصرية في أفريقيا في القرن التاسع عشر، ووثيقتين نشرهما مؤلف هذا الكتاب في دراسته عن حيازة الأرض في نيجيريا في القرن التاسع عشر ودراسته عن تاريخ التعليم في غانا.

دفتر ٥٦٠ معية تركى

ترجمة المكاتبة التركية (غير رسمية وبدون نمرة) ص ١٠٦ في ١٠ ربيع الثانى ١٢٨٤ هـ (١٨٥٧م)[1] إلى محافظ مصوع

وردت مكاتبتكم الرقمية ٣ صفر سنة ١٢٨٤ إلى المعية المتضمنة نبأ وصول الخواجة (سويكي) الإيطالى إلى مصوع ومعه عائلته وأتباعه ومعداته بقصد التوطن في جهات (سنهيت)، وأن الأفضل عدم إسكان هذا الرجل في الجهة المذكورة لكونها في رأس الحدود- وعرضت على المجلس... وحيث إن هذا الرجل حقيقة رجل مشاكس وأحواله غير مستقيمة وكان استخدم فيما مضى في الدائرة السنية وفصل منها لرعونته وعدم استقامته ولابد أنه يخفي وراء طلب الإقامة في جهة واقعة على رأس الحدود مثل هذه النيات الفاسدة.

لذلك رأى المجلس إستعمال الحكمة والتدبير في هذا الموضوع والعمل على منع هذا الرجل من الذهاب إليها بصورة مناسبة - وحيث إن حكمدار السودان قد ذهب إلى تلك الجهات لتسوية بعض الأشغال فلابد أن يكون قد وصل الآن إلى مصوع أو هو على وشك الوصول إليها فيجدر أخذ رأي سعادته في هذا الموضوع وإجراء ما يلزم إزاء ذلك بحسب رأيه فنبلغكم ذلك.

نلاحظ على هذه الوثيقة ما يلى:

(أ) أنه ليس لها رقم في سجل الصادر أو على حد التعبير (بدون نمرة) كما أن الجهة التي

(١) نشرت فى كتاب الدكتور شوقى عطا الله الجمل: الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الأحمر (١٨٦٣ - ١٨٧٩) القاهرة. لجنة البيان العربي، ١٩٥٩. ص ٤٧ - ٤٨.

وجهت الخطاب لمحافظ مصوع غير محددة. وذلك لسبب بسيط وهو سهولة إنكار الوثيقة فيما لو اتضحت أو انكشفت أمورها في حينه.

(ب) يلاحظ الباحث أن الموقف العلني أو المعلن قد يكون غير الهدف الحقيقي فالوثيقة توصي باستخدام الحكمة والتدبير مع هذا الإيطالي المشكوك في نواياه، فقد يصرح له المسئول المصري أن الحكومة المصرية معجبة بكفاءته لذلك تود منه أن يقيم في مصر بدلا من مصوع. وقد تكلفه الحكومة المصرية بعمل وهمي لقاء أجر كبير في مكان بعيد عن مصوع. وقد يدعوه حكمدار السودان للاستفادة من خبرته وقد يجرى إقناعه بالإقامة بالقرب من الحكمدارية بدلا من وجوده في منطقة الحدود. وفي كل الأحوال فإن الغرض الأساسي لا يتم التصريح به أو إعلانه.

(جـ) يستطيع الدارس مطمئنا من خلال هذه الوثيقة أن يستنتج الأطماع الإيطالية في المنطقة وتخوف مصر من ذلك.

الدفتر رقم ١٨٥٢ معية عربي

نمرة ٤٥ صفحة ٧٥ في ٥ ذي الحجة

سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١م)[١]

إلى : المالية

وردت إفادة من جناب فنزنجر بك محافظ مصوع – فرنساوي العبارة رقم ١١ يناير ومن ضمنها طلب إرسال ثلثمائة (كذا) كيس ليكمل مصاريف العيون الجاري بناؤها بذلك الطرف حيث إن مصاريف المحافظة العادية لا تقوم بتلك المصاريف.

وبعرض ذلك على الأعتاب السنية صدر النطق العالى بأنه يصير تحويل صرف الثلثمائة كيس التي طلب المشار إليه صرفها على إحدى الجهات السودانية. فلهذا ألزم تحريره لسعادتكم ليجرى تحويل صرف المبلغ المرقوم لتلك الجهة على الوجه المشروح حسبما تعلقت به الإرادة السنية.

(١) الجمل، شوقى عطاالله : المرجع السابق، ص ١٢٧.

تأشيرة : ورد من المنيا ثم تحرر لفنزنجر بك في ١٤ محرم سنة ١٢٨٩ نمرة ٦٦

التعليق على الوثيقة:

(أ) كانت هناك اتهامات دائمة بأن الوجود المصرى في سواحل البحر الأحمر الجنوبية وبالذات مصوع وسواكن ما هو إلا وجود استعماري ومن المعروف أن المستعمر يكسب أو يربح من الدولة المستعمرة، ولكننا إزاء وثيقة تؤكد أن الخزانة المصرية كانت تدفع للإنفاق على هذه المناطق ولا تأخذ منها. أليست هذه الوثيقة - ومثلها كثير - تدفع ما كان يثيره الأوروبيون ضد الوجود المصري في هذه المناطق؟!

(ب) كان لمصر أو للمسلمين دور حضاري لا يمكن إنكاره في أفريقيا، وكان لمصر العربية المسلمة دور أساسي في تعميق العروبة والإسلام في هذه الأنحاء، نستطيع أن نخرج بهذا القول من مثل هذه الوثيقة، وغيرها كثير.

ومن أراد الاطلاع على وثائق شبيهة فعليه بالاطلاع على مجموعة الوثائق التي نشرها الدكتور شوقي عطا الله الجمل والتي سبق أن أشرنا إليها.

دفتر رقم ١٨٥٩ معية صفحة ٩٠ نمرة ١ مرور

في ٢١ ربيع الأول ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢م)[١]

من: محافظ مصوع وسواكن

إنه حضر من بر الحجاز عربان من رابغ وينبع وأقاموا بين ملاحة داوية وسواكن وبين جزيرة عقيق ومصوع - بقصد التوطن والزراعة ورعي مواشيهم - والآن حاصل منهم تعد على العربان أهل الوطن بالأسلحة النارية ودائما حاصل التشكي مما هو حاصل بينهم. وتركهم بهذه الحالة غير صائب والأوفق أن يصير اجتماعهم وأخذ قول منهم عن دخولهم تحت طاعة الحكومة وتوطنهم في الأرض الصالحة للزراعة - وربط مبلغ معين على كل فدان يصير زراعته سنويا، وينتخبوا مشايخ عليهم ويلتزموا بدفع الأموال مع قيامهم بالضبط والأمن وعدم حصول أدنى ضرر منهم لأهل الوطن.

---

(١) الجمل، شوقي عطاالله : المرجع السابق، ص ١٣٣.

وإن حصل تعد عليهم من أهالي الوطن يعرضوا عنه للحكومة.. الخ

ويمكن للباحث أن يخلص من هذه الوثيقة وأمثالها بعدة حقائق:

(أ) إن الهجرة العربية أو المد البشرى العربى لأفريقيا الشرقية ظل مستمرا وقويا حتى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين مما يؤكد عروبة هذه المناطق ليس ثقافة ولغة فقط وإنما دماً أيضا.

(ب) إن الوضع في ظل الإدارة المصرية كان مُستتبا ومنتعشا ويتُّسم بالرخاء بدليل هجرة هذه القبائل بحثا عن الرخاء.

دفتر ٥٢ عابدين - وارد تلغراف رقم ١٨ في ٦ محرم

سنة ١٢٩٦ هـ الموافق ١٨٧٨ م[1]

قد حصلت المكالمة بيننا وبين مندوب الملك يوحنا (ملك الحبشة) والذى انتهى إلى الحال وهو أنه تحرر من طرفنا (حكمدار السودان عن الحكومة المصرية) من الشروط اللازم عقدها معه في مادة الحدود بحسب ما تراى وعلى حسب ما نظر لنا كتبناه بأن الشروط تكون على وفق الموضح بهذا وهو:

. . . . . .

. . . . . .

ثانياً: أن الخديوى الأعظم يأذن بأن ملك الحبشة يتصرح له بأن يعين وكيل من طرفه لإقامته بمصوع أشبه بقنصل.

ثالثاً: يتعين المطران وكل ما يلزم على أن تعيينه يكون من طرف الجناب العالى.

رابعاً: كل من يريد التوجه من الحبشة إلى القدس الشريف يترخص له بالتوجه وتعطى له المساعدات اللازمة متى حضر وبيده جواب من حكومتهم... الخ

ومن هذه الوثيقة الهامة يتضح استقلال ارتريا التاريخي عن الحبشة.

* * *

(١) نصر، السيد يوسف: الوثائق التاريخية المصرية فى افريقيا. القاهرة، دار المعارف ١٩٨٠ ص ٢٣٥

CONSUL BENJAMIN CAMPBELL TO LORD CLARENDON. YORUBA COTTON. 16 MAY 1857[2]

∴ The Reverend Samuel Crowther, the highly intelligent native Clergyman attached to the Church Missionary Society's Establishment at this station, through whose instrumentality the Chiefs and others at Abeokuta have extended their cultivation of the cotton plant as a commercial export, having returned from a visit to that Town I lost no time in making him acquainted with the wishes and intentions of Her Majesty's Government in regard to promoting the cultivation of the Cotton plant.

Mr. Crowther is of the opinion that in the present stage it would not be advisable to distribute the seeds of a foreign and more valuable description of Cotton to the Chiefs and others at Abeokuta; the native cotton now grown by them is of that description of which the greatest quantity is used, and is known at Manchester, 'good ordinary', and fetches to the cultivators a remunerating price; but, Mr. Crowther is of the opinion that seed of a higher priced description of Cotton would be advantageously placed in the hands of the Native Converts to Christianity many of whom are planters, because they would readily submit to any Instructions and directions as to the mode and manner of cultivating the new seed, in fact that under the advice and instruction of the Missionary Agents these converts would readily cultivate a model plantation, to which, after a time, the attention of the Chiefs and other cultivators might be invited. I think highly of this suggestion of Mr. Crowther's and beg respectfully to submit to your Lordship that seed of the higher priced description of cotton be sent out to me to be placed in the hands of the Native Christian Converts.

The great drawback hitherto experienced has been the want of good machines for separating the Cotton from the seed. Those hitherto used are the description called the saw Gin, but as they deteriorate the Cotton a halfpenny and more the lb., in consequence of the tearing of the fibre, another description called the roller Gin was sent out, but this machine being unadapted for the cotton cultivated in this part of Africa, not cleaning five lbs of Cotton per day while the saw Gin cleaned upwards of 30 lbs., the natives refused them even as a gift; another great drawback also has been the want of a press, but this will be soon remedied as two presses have arrived out and will be seen set up in Abeokuta; and Signor Scala the Sardinian Consul a man of energy and enterprise who is forming a Commercial establishment at Abeokuta expects a press from England by the next Packet. Unhappily a large quantity of Cotton in the raw state of the crop of last season, stored in various depots at Abeokuta waiting the arrival of more cleaning Gins and the presses was destroyed by a fire some months since which burnt down a large portion of the town of Abeokuta.

As it is a great desideratum with a people who have no other capital than their labor that they should possess machines for cleaning the Cotton, simple, cheap, and inexpensive, I beg to submit to Your Lordship that Her Majesty's Consuls in those Southern States of America, and in other countries where Cotton is extensively grown, be directed to forward to Your Lordship drawings and diagrams of the description of cleaning machines most used in those Countries, with such descriptions as would render them quite intelligible to a Manchester Merchant; and, as an increased cultivation of the Cotton plant in other parts of the Yourbah Country is confidently expected and there are neither rail roads nor canals by which to transport cheaply so bulky a material and only very narrow foot paths at best, I beg further to submit to Your Lordship that Her Majesty's Consuls at Pernambuco and Para be directed to send plans and descriptions of the rude but powerful wooden presses which I am informed are used in the Interior of those provinces in Brazil, to compress the Cotton into small bales which are then carried on the backs of mules to the Ports on the Coast.

I beg again respectfully to suggest to Your Lordship that the Conductors of the trading expedition up the Niger should be earnestly requested to direct their attention to cotton as an article of Export, and, that the Expedition should be provided with all the means necessary for purchasing it from the Natives, cleaning it and preparing it in the state fit for shipment.

1 F.O. 84/1031. *Benjamin Campbell* was consul at Lagos, 1853–9. A copy of this report was forward.to Macgregor Laird and to the Manchester Cotton Supply Association. *Lord Clarendon* was Foreign Secretary, 1853–8, 1865–6, 1868–70, and requested this information in March 1857.

وننتقل الآن إلى مثال آخر من الوثائق التي يمكن للباحث أن يخلص منها بنتائج هامة جدا مع أن عنوانها لا يدل على ذلك، إنه خطاب بشأن القطن في منطقة اليُوربَا (في نيجيريا).

ولقد استخدم المؤلف هذه الوثيقة للدلالة على استخدام الحيازة الزراعية في العمل على نشر الدين المسيحي.(١)

إن القنصل كامبل يخاطب لورد كلارندون ذاكرا له أن السيد كروثر وهو أحد موظفي الحكومة البريطانية الكبار في نيجيريا يرى أنه لا يجب في الوقت الحاضر تقديم بذور القطن الجيدة أى التي تُدّر محصولا وافراً إلا النيجيريين الذين تحولوا للمسيحية..

هل من المُمكن أن تظهر هذه الحقيقة وتلك النوايا في بيان حكومي رسمي؟ هل يمكن أن تظهر هذه الحقيقة في كتاب مؤلف عن بريطانيا في غرب أفريقيا ويكون المؤلف إنجليزياً؟

إن مثل هذه الحقائق لا تظهر إلا في الوثائق أو المراسلات الرسمية السرية لأن كاتبها لم يكن يتوقع أن تكون كتابته شاهداً على التاريخ ولم يكتب ما كتب بقصد شهادة التاريخ وإنما بقصد تسيير أمور معينة وتنفيذ سياسة معينة.. لقد كان مضطرا للكتابة.

وهذا يؤكد مرة أخرى أهمية الوثيقة بالنسبة للحقيقة التاريخية.

٥ – وفي كثير من الأحيان يكون إغفال الوثيقة لذكر موضوع ما أو فئة معينة مجالا لاستنتاج الباحث. ولأضرب لذلك مثلا يسيرا، فلو أن الباحث يعرف من مصادر كثيرة ومتعددة أن في إحدى المدن ٣ كنائس ومسجداً، ثم يطلع على وثيقة تعد أماكن العبادة في هذه المدينة فتذكر الكنائس وتغفل المساجد أو تذكر المساجد وتغفل الكنائس.. هنا لابد أن يكون للباحث وقفة.. إنها نية مبيتة لهدم المساجد أو العكس.. أو أن فئة أقوى من الأخرى أو أن قوى أجنبية تميل لهؤلاء أو لأولئك.

وسأضرب مثلا بوثيقتين تكمل إحداهما الأخرى.

---

(١) أعيد نشر هذه الوثيقة مع دراسة تحليلية في: الشيخ عبد الرحمن عبدالله : حيازة الأرض في نيجيريا في القرن التاسع عشر. القاهرة. جامعة القاهرة ١٩٨٠. رسالة دكتوراه غير منشورة. الملحق. ص ١٨٦.

أولاهما: تقرير سري رفع الحكومة البريطانية عن التعليم والدين في غانا سنة ١٩٢٠ يذكر أن المسلمين في غانا موجودون بكثرة في الشمال خاصة وينصح الإرساليات التبشيرية المسيحية بألا تضيع وقتا (لهداية) المسلمين للمسيحية فتحولهم لها صعب بل يكاد يكون مستحيلا، وإنما على الإرساليات التبشيرية أن تركز جهودها على الجماعات الوثنية فهم مجال سهل للتحول للمسيحية وعلى الإرساليين أن ينتهزوا فرصة وجود القوة العسكرية البريطانية لينشطوا في مجال التبشير فواقع الأمر أنه لا مقام لهم إن ذهبت القوة العسكرية.(١)

مثل هذه التصريحات التي تكشف عن النوايا الحقيقية لاتجدها عزيزي الطالب إلا في الوثائق الرسمية السرية .

ثانيهما: وثيقة عن التعليم في غانا ورغم تأكدنا(٢) – من خلال وثائق أخرى – أن الإسلام والتعليم الإسلامي موجود في غانا، بل وموجود مؤثر إلا أن هذه الوثيقة أغفلت ذكره، كيف أستفيد من هذا الإغفال حقائق تاريخية وكيف أفسره ؟

والآن، نخلي بينك وبين الوثيقتين، لتعلم عزيزي الطالب كيفية الاستفادة من الوثائق وكيفية التحقق من صحتها ..

الدراسة الوثائقية والاستنتاجات:

١ – عندما تحصل على مثل هذه الوثيقة لابد أن تتأكد من أنها صحيحة والوسيلة لذلك في مثل هذه الحالة هي التأكد من اعتماد وأختام الأرشيف أو دار الوثائق التي سمحت لك بتصوير الوثيقة ، وبعض دور الوثائق تعطيك شهادة بذلك. وتجد هذا في الصفحة الأولى وهي شهادة اعتماد من أرشيف غانا القومي «أشهد أنا ابنزر لاميتي رئيس الموثقين بأرشيف غانا القومي أن النسخة المرفقة من الوثيقة المذكورة أدناه والتي استخرجت من الأرشيف المذكور أعلاه هي النسخة الصحيحة».

لكن شهادة الصحة هذه قد ترفق بوثيقة مغايرة لذلك يقوم الأرشيف المذكور بلصق شهادة الصحة أو شهادة الاعتماد بالوثيقة المصورة وختمها بالشمع الأحمر وربطهما معاً بشريط أحمر مدموغ بالشمع . (لاحظ ذلك في الصفحة الأولى من الوثيقة).

---

(١) الشيخ: عبد الرحمن عبدالله: تاريخ التعليم في غانا من ١٧٥١ إلى ١٩٦٣، القاهرة، جامعة القاهرة، ١٩٧٦، رسالة ماجستير غير منشورة – الملحق. ص ٨ – ١٩.

(٢) الشيخ: عبد الرحمن عبدالله: نفس المرجع السابق. ص ١٩ – ٢٢

National Archives of Ghana

Certificate of Authentication

To all whom these presents shall come, Greetings:

I, [illegible] Senior Archivist

of the National Archives of Ghana, do hereby certify that the annexed copy or reproduction, or each of the specified number of annexed copies or reproductions, of the document (listed below) which is preserved in the above-named Archives, is a true copy:

Extract from the Colonial Report, 1920

dtd. 5/1/20 pp. 12-13 Paras. 45-52

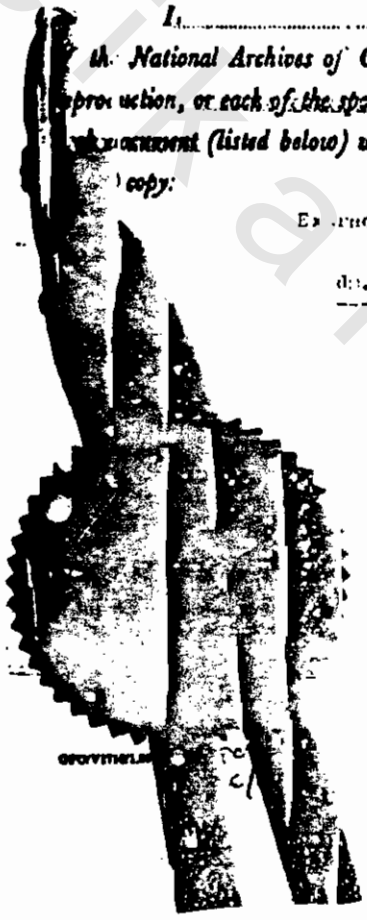

Given under my hand and seal this 20

day of October, 19 7

as authorized by Section 7 of the Public Archives Ordinance, No. 35 of 1955..

Senior Chief Archivist

Archives Form No. 8

REPRODUCTION OF IT BY ANY PHOTOGRAPHIC PROCESS MAY BE MADE WITHOUT PERMISSION OF THE CHIEF ARCHIVIST

JOB No. P 76. 174-75
REF. No. Accra 5/1/22

EDUCATION.

45. There are three Government Schools in Ashanti, one at Coomassie, one at Sunyani in the Western Province, and one at Juaso the Headquarters of the Ashanti-Akim District of the Eastern Province.

46. At the end of the year the number on the roll at Coomassie was 496, at Juaso 138, and at Sunyani 110. At an early date a new Government School at Coomassie on a new site will be necessary, the present buildings are too close to the new railway station and the present site leaves much to be desired. A new site has been selected provisionally and it contains ample space for decent playing fields.

47. Altogether there are about 40 Schools distributed about the Eastern Provinces, and ten in the Western Province. Coomassie possesses the best facilities for education, but its population is so cosmopolitan that barely 50 per cent. of the School children are Ashantis. Outside Coomassie, and except at Obuasi, Sunyani, and Juaso the Schools are small and the education of a very simple kind.

48. One of the obvious present needs of the Ashanti is a better opportunity on the spot for acquiring something more than the very elementary education of the village School.

The Acting District Commissioner, Kintampo, for instance, writes "There are a number of sawyers, carpenters, bricklayers, and tailors in the bigger villages, but they mostly came from the Gold Coast Colony." This is the case everywhere. The dispensers, surveyors, road overseers, sanitary inspectors, storekeepers, clerks, mechanics, artisans, and so on come as a rule from the Coast. It is true that there are a few Ashanti boys, and their number is increasing, who are sent to Accra and Cape Coast for the educational advantages those towns offer, but until the same advantages are available locally the average Ashanti will not be trained to take much share in certain branches of the development of his country, and is likely to find certain avenues of employment closed to him.

RELIGION.

49. The majority of the inhabitants of Ashanti must still be classed as adherents of their native religion. This has been described by Sir Francis Fuller as "a veneration of ancestors, strongly blended with animism, commonly called fetishism."

ASHANTI, 1920.

50. The tide of progress, however, which has swept over the country in the past few years has loosened the moorings of the ancient religion, and there is little doubt that there would be a very great access of converts to Christ anity if the various Missions could seize the opportunities now awaiting them. Mohammedanism does not seem at present to be able to proselytise among the Ashantis, and there is thus a clear field for the Christian Missionary.

51. The Heads of the various Missions speak optimistically of the progress and possibilities of their work, but there is the general lament at the absence of European personnel. It is greatly to be hoped that the ranks of the Missionaries will soon be filled, and that there will be no lack of moral guidance during the unsettling times which it seems the people of Ashanti have now to face.

52. The various Missions established in Ashanti are the following :—

The Seven Day Adventists who have seven Churches and Companies of Believers, and whose members number 283.

The A.M.E. Zion Church with 150 full members and 64 probationers.

The Scottish Mission with 918 communicants and 389 adherents.

The Wesleyan Mission with 8,000 baptised members.

The Roman Catholic Mission with 1,100 converts.

The S.P.G. Mission with a roll of 300 members.

٢ – وجود الوثيقة في مكانها الطبيعي وتسلسلها الزمني الطبيعي في الأرشيف (دار الوثائق) أحد العوامل المساعدة على التأكد من صحتها وتصديقها. ولتوضيح الفكرة نذكر أن لكل طالب أو موظف في الجامعة ملفاً (File) فلو أنك وجدت (وثيقة) أو خطابا يخص موظفا أو طالبا موجودا في ملف موظف أو طالب آخر.. ألا يدعوك هذا للتشكك ولو إلى حين؟ ولو أنك وجدت خطابا تاريخه ١٤٠٢ هـ في ملف (File) مخصص لمعاملات سنة (١٤٠٠ هـ) أو ملف خاص بمعاملات سنة (١٤٠٣) هـ ألا يدعوك هذا للتشكك؟ ألا تظن أن أحداً دسَّ هذا الخطاب أو المعاملة لسبب في نفسه؟ قد تكون المسألة مجرد خطأ؟ وقد تكون تزويرا مقصودا .. لكن عليك التأكد في كل الأحوال.

إذن وجود الوثيقة في تسلسلها الزمني وفي مكانها الطبيعي من الأرشيف يُعَد من العلامات أو الدلالات التي تساعد على التأكد من صحة الوثيقة.

٣ – الآن وقد تأكدت من صحة الوثيقة، عليَّ أن أدرسها بعناية لأخلص منها بالحقائق التي أريد الوصول إليها. وهي بالنسبة لهذه الوثيقة حقائق خطيرة، لذلك سنبدأ بترجمة لبعض فقراتها، ونؤكد مرة أخرى على الفكرة التي لا نمل من تكرارها وهي أن هذه الوثيقة لولا أن كاتبها لم يَرِد بها شهادة التاريخ، ولولا ظروف عملية نفعية حتمت عليه كتابتها ما خرجنا منها بهذه الحقائق الصادقة.

(٤٩٠٠٠) – غالبية سكان الأشانتي (في غانا) يجب أن يظلوا وثنيين native religion تلك الديانة التي وصفها السير فرانسيس فلر بأنها تُبجِّل الأسلاف بشكل يرتبط بعبادة الأرواح أو الأرواحيةAnimism، وتسمى هذه العبادة بالفيتيشيةFetishism.

٥٠ – تيار التقدم الذي اجتاح البلاد في الأعوام القليلة الماضية قد قلل من استقرار الديانة القديمة (الوثنية) وهناك شك في إقبال عظيم على اعتناق المسيحية ولابد للإرساليات التبشيرية أن تتعاون معاً لتحقيق هذا الغرض إذا لا يبدو الإسلام في الوقت الراهن (١٩٢٠) قادرا على هداية سكان مناطق الأشانتي وعلى هذا فالمساحة خالية للتبشير المسيحي.

٥١ – رؤساء الإرساليات التبشيرية يتحدثون بتفاؤل عن التقدم والإمكانات المتاحة لهم في مجال عملهم على أنه ينبغي ألا نغفل المصاعب الكبيرة التي سيواجهونها في حالة غياب الإدارة الأوروبية...)

والآن لو أتى باحث وذكر أن السلطات الأوروبية كانت تسعى لبقاء الوثنيين على ديانتهم حتى يكونوا رصيدا مستقبليا للمسيحية وذكر أنه لولا الوجود الأوروبي المسلح لما حققت الإرساليات التبشيرية ما حققته من نشر للمسيحية ولو ذكر أن الإرساليات والسلطة الأوروبية تعمل ألف حساب للمسلمين في أفريقيا السوداء ولا تتوقع منهم تحولاً للمسيحية أو مؤازرة للأوروبيين، لو أن باحثا ذكر ذلك أو بعضه لا تهمناه بالتعصب والمبالغة. أما إذا قدم لنا وثيقة صادقة كهذه، فتلك إذن حقائق أساسية وتلك إذن هي سياسة الاستعمار إزاء المسلمين مدعمة بالوثيقة.

مرة أخرى، هل من الممكن أن ترد هذه الحقائق في بيان أو خطبة أو توجيه علني انجليزي؟

إنها الوثائق، المصدر الأصيل للتاريخ، لأن منشأها عند كتابتها أو صياغتها لم يكن يقصد شهادة التاريخ، فأتت صادقة حاوية على نواياه الحقيقية.

* * *

ننتقل الآن إلى وثيقة أخرى لها نوع آخر من الاستخدام إذ إنها أغفلت بعض الحقائق التاريخية، وهذا يوضح أن الوثيقة التاريخية يمكن الاستفادة منها سلبا وإيجاباً بمعنى أنها إذا أوردت حقائق تاريخية كان على المؤرخ أن يستفيد منها. وإذا أغفلت حقائق تاريخية يعرفها المؤرخ من وثائق أخرى أو مراجع أخرى أو مسكوكات أو آثار، فإن هذا الإغفال لا يخلو من دلالة، فهو يدل على أن منشىء الوثيقة أو كاتبها إما جاهل بهذه الحقائق التاريخية، وإما مغرض يبغي من وراء إغفاله هذا تحقيق مصلحة اقتصادية أو سياسية أو دينية.

والوثيقة التي نحن بصددها عنوانها:

«اللائحة رقم ١٤ المؤرخة في ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٨٧ بشأن الرقي بالتعليم وتقديم الاعانات لتطويره في مستعمرة ساحل الذهب»

والوثيقة صحيحة بشهادة دار الوثائق القومية الغانية[1] ولكن عند تحليل مضمونها نلاحظ أنها لم تشر من قريب أو بعيد لوجود تعليم إسلامي سواء نظام الكتاتيب أو المدارس الإسلامية

(١) انظر شهادة الصحة والإعتماد في الصفحة التالية وراجع الأختام والشمع الأحمر كما هو بادٍ في الصورة وراجع ما كتبناه عن صحة الوثيقة السابقة.

المعانة من الحكومة. ولما كانت هذه الوثيقة لائحة رسمية فإنه من الواضح أن حكومة المستعمرة الإنجليزية لاتريد أن تعترف بوجود الإسلام والتعليم الإسلامي في غانا من الناحية الرسمية إما تمهيداً لإلغائه أو التقليل من شأنه .

وهكذا ترى أن الوثيقة الصحيحة لاتخلو من مدلول تاريخي سواء أشارت للحقيقة التاريخية أم أغفلتها .

وثائق التاريخ الحديث، المنشورة وغير المنشورة :

ضربنا لك في الصفحات السابقة أمثلة على وثائق مازالت أصولها موجودة في دور الوثائق أو الأرشيفات القومية ولكننا لم نحصل عليها من هذه الأرشيفات وإنما حصلنا عليها من كتب أو مجموعات وثائقية قام مؤلفوها بالذهاب بأنفسهم إلى دور الوثائق والأرشيفات ونشروها، ثم أخذتها أنا في كتابي هذا عنهم، أو استعان بها باحثون آخرون .

هنا لابد من وقفة فنحن أو غيري من الباحثين لم يَرَوْا الوثائق الأصلية ولم يتحققوا من وجودها في أرشيفها في مكانها الطبيعي وفي ملفها أو دَفْترها الطبيعي وفي تسلسلها الزمني ، وإنما اعتمدت على أن غيري قد رآها وعاينها . وعلى الباحث في هذه الحالة إذا شك في صحة الوثيقة أو علِم الناشر لها أو نزاهته العلمية أن يرجع بنفسه إلى الوثيقة الأصلية في دار الوثائق أو الأرشيف الذى أشار المؤلف إلى أنه أخذها منه .

وهذه ليست مشكلة بالنسبة لوثائق التاريخ الحديث وأواخر العصر الوسيط الأوروبي . لتوفر عدد كبير منها في دور الوثائق .

كما ضربنا لك – في الصفحات السابقة أيضاً – أمثلة على وثائق حصلنا عليها مباشرة من دار الوثائق ، وتأكدنا بأنفسنا من وجودها في أماكنها وتسلسلها الزمني ، ثم حصلنا على شهادة بصحتها معتمدة ومختومة من الأرشيف أو دار الوثائق. فتلك إذن وثائق صادقة مائة في المائة وليس هناك مجال لتزييفها أو الكذب عليها أو فيها .

ومن ناحية القيمة الأكاديمية تعتبر الوثائق غير المنشورة أكثر قيمة، وتعطي البحث التاريخي أهمية كبيرة . وغالباً مايشترط الأستاذ المشرف على الطالب الذي يُعد درجة الماجستير أو الدكتوراه في مجال التاريخ الحديث أن يضمّن بحثه بعض الوثائق التي لم يسبق نشرها، وذلك لسببين :

National Archives of Ghana

Certificate

Authentication

To all whom these presents shall come, Greetings:

I, [illegible] Senior Archivist

the National Archives of Ghana, do hereby certify that the annexed copy or reproduction, or each of the specified number of annexed copies or reproductions of the document (listed below) which is preserved in the above-named Archives, is a true copy:

Ordinance No. 14 dated 28th September, 1927 for the promotion and Assistance of Education in the Gold Coast Colony.

Adm 4/1/9 PP. 1 - 3

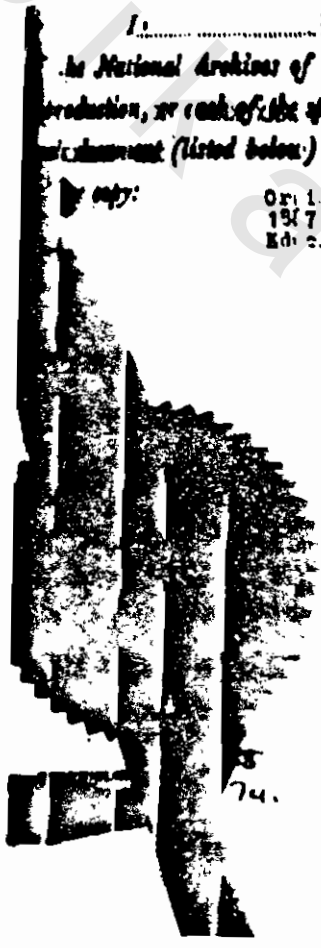

Given under my hand and seal this 2.3 day of October, 19 74 as authorised by Section 7 of the Public Archives Ordinance, No. 35 of 1955.

E. Compotey

Senior Chief Archivist

Archives Form 2b

Confirmed by Sir A. Kol.
desp: No. 315 of 2nd Dec ...
H. M. H.
25.6.88

Guaranteed Pub.
Admiralty Govt

GRAPHIC PROCESS MAY BE MADE WITHOUT PERMISSION OF THE CHIEF ARCHIVIST

NO. 14. **1887.**

GOLD COAST COLONY.

IN THE FIFTY-FIRST YEAR OF THE REIGN OF
HER MAJESTY QUEEN VICTORIA.

COLONEL FREDERICK BENJAMIN PRICE WHITE,
ADMINISTRATOR. (L.)

AN ORDINANCE for the promotion and Assistance of Education in the Gold Coast Colony. Title.

[28th September, 1887. Date.

Whereas it is expedient to provide for the Promotion and Assistance of Education in the Gold Coast Colony;

Board of E.

I. There shall be a Board of Education in the Gold Coast Colony, which Board shall consist of the Governor, of the Members of the Legislative Council, and of such other members, not exceeding eight in number, who may be nominated by the Governor.

President and ...

II. The Governor, or in his absence such other member as he may think fit to appoint in writing shall be President of the Board. The President and three members of the Board, one of whom shall be a member of the Legislative Council, shall form a quorum. The President, in addition to his vote as a member of the Board, shall have a casting vote in case the opinions of the members are equally divided.

Appointment of ...

III. It shall be lawful for the Governor subject to the approval of one of Her Majesty's Principal Secretaries of State, to appoint some fit and proper person to be

A fl.—(6)—19 10/87.

Inspector of Schools. The Governor may also from time to time appoint such other officers as may be deemed necessary for carrying this Ordinance into effect.

Powers of Board.

IV. Subject to the provisions of this Ordinance the Board of Education may, from time to time make, alter, amend or revoke Rules with regard to the examination of schools and of persons to be employed as teachers under this Ordinance; for classifying certificates to be given to such teachers; for determining the capitation grants which shall be paid as a contribution towards the remuneration of the teachers of schools entitled to grants-in-aid; for regulating the application for and the allowance of grants-in-aid to schools, for regulating the terms on which any minister of religion may have access to any government school for the purpose of giving religious instruction to the children of the religious denomination to which such minister may belong; and generally, all other rules as may be found necessary for the more effectual carrying out the provisions of this Ordinance: And all such rules, alterations, amendments and revocations shall, on being approved by the Governor and so published in the Gazette, have the same effect as if the same had been made by Ordinance subject to disallowance by Her Majesty.

Primary schools.

V. Schools of Primary Education shall be divided into two classes: first Government Schools or schools established by the government and entirely maintained from the funds of the colony; and, secondly, Assisted schools or schools established by private persons to which aid may be contributed from the public funds.

Religious teaching in government schools.

VI. Direct religious teaching shall not form part of the instruction to be given in any government school.

Aid to primary schools.

VII. Assisted schools shall, on being allowed by the Board of Education, be entitled to receive aid from the public funds of the Colony on the following conditions:—

Conditions under which granted, and for what purposes.

1. That the control and management of such schools be vested in one or more managers who shall have power to appoint, dismiss, and fix the salaries of the teachers of such schools.

2. That such managers be responsible for the payment of the salaries of the teachers and for all other expenses of such schools, and also for keeping the school buildings in a state of repair, and in good sanitary condition: provided that in case of the non-performance of any of the conditions in this subsection it shall be lawful for the Board of Education during the continuance of such non-performance to reduce or altogether to withdraw the grants-in-aid of such schools.

3. That the present teachers of such schools do obtain within three years from the commencement of this Ordinance, a certificate from the Board of Education and that every teacher hereafter appointed shall hold a certificate from the Board, that he has satisfied the Board as to his competency. These certificates may be honorary or obtained by examination.

4. That the schools be open to children without distinction of religion or race.

5. That the subjects taught include reading and writing of the English language arithmetic, and, in the case of females, plain needlework. Grammar of the English language, English history, geography, especially of the British Empire, may also be taught or not at the option of the managers; provided that, if taught, they shall be taught as class subjects.

6. That no child receive any religious instruction objected to by the parent or guardian of such child, or be present when such instruction is given.

7. That the schools be open at all times to inspection by the Inspector of schools or by any person appointed by him in writing, or by any member of the Board of Education, or by any District Commissioner, or by any person appointed by Government.

8. That schools attain to not less than the required proficiency.

Managers: definition of term.

VIII. By managers shall be understood all members of the local governing boards of any society, body, or corporation, taking part in the educational work of the Colony: provided that, in all cases, correspondence shall be maintained with, and payments made to, the representative of any such society, body, or corporation, or to such other person as may be authorised in writing by such representative.

Power of managers to appoint local managers.

IX. Managers shall have power to appoint local managers, who shall be directly responsible to the said managers, who in turn, shall be directly responsible to the Board of Education for the maintenance and efficiency of their schools.

Average attendance.

X. No school shall receive any grant-in-aid unless the average attendance of pupils has been at least twenty for each day the school has been open during the period for which the grant is payable.

Financial responsibility managers.

XI. The manager of every assisted school shall submit yearly accounts of revenue (from whatever source derived) and expenditure to the Inspector of schools for the information and satisfaction of the Board of Education; and no school shall be placed on the list of assisted schools, unless a detailed tabular statement of the revenue of the school from all sources be furnished, together with the expenditure incurred under every head during the twelve months preceding the date of application.

Industrial schools.

XII. Schools in which a proportion of the pupils, to be fixed by the Board of Education, do not learn some useful trade or manual labour on a regular and approved plan, shall be considered to be Industrial Schools.

Manual labour shall be understood to mean any kind of handicraft, manufacturing process or agricultural work, and, in the case of females, household work.

Paupers or other children.

XIII. Any school receiving aid from public funds shall be bound to receive pauper children, who may be assigned to it by the Government, in such numbers and upon such terms as may be decided on by the Board of Education.

Powers as to Queen Schools.

XIV. Nothing in this Ordinance contained shall be construed to debar the Governor from establishing, schools under the entire control of the Government, or maintaining any such school already established, and, in such case, the Governor may fix the salaries of the teachers of such schools definitely or partly of a definite amount and partly by grants in proportion to the results attained or wholly in proportion to the results attained.

Grant to training or schools or institutions.

XV. A grant from public funds, the amount of which shall be fixed from time to time by the Board of Education, may be made to any training college, school, or institution, in which teachers are especially trained, for every teacher who shall obtain a certificate from the Board of Education that he has satisfied the Board as to his competency: provided that every such teacher shall have received at least two years' instruction in such training college, school, or institution, and shall give a bond to the Governor to teach, either in a government school, or school receiving a grant-in-aid, for a period of five years.

Repeal.

XVI. "The Education Ordinance, 1862," and all rules made thereunder, "The Education Ordinance, 1862, Amendment Ordinance," and "The Education Ordinance Amendment Ordinance, 1865," shall be repealed as from the commencement of this Ordinance, provided that the repeal of the above recited Ordinances and rules shall not affect the grants for the year 1867.

Short title.

XVII. This Ordinance may be cited as "The Education Ordinance, 1867."

Passed in the Legislative Council this Twenty-eighth day of September, in the year of Our Lord, One thousand, eight hundred and eighty-seven.

Clerk of the Legislative Council.

I assent to this Ordinance in the name of Her Majesty this 29th day of September, 1867.

Administering the Government.

This Printed Impression has been carefully compared by me with the Bill which has passed the Legislative Council and found to be a true and correct copy of the said Bill.

Clerk of the Legislative Council.

١ – لأن الوثائق التي لم يسبق نشرها، إذا مانُشرت وحققت فإنها إضافة جديدة للعلم التاريخي بما فيها من حقائق جديدة ومعلومات .

٢ – لتدريب الباحث على ارتياد الأرشيفات ودور الوثائق باعتبارها من كنوز البحث التاريخي .

* * *

وثائق التاريخ الإسلامي (الوسيط)

الوثيقة هي الوثيقة سواء انتمت للتاريخ الوسيط أو الحديث أو حتى القديم . ولكن وثائق كل عصر تاريخي لها طبيعتها الخاصة كما سنوضح من حيث مادة الكتابة وأداتها[1] لكن هناك فرقاً أساسياً سبق أن أشرنا إليه وهوأن وثائق التاريخ الحديث المنشورة في كتب، إن شككت فيها لجهل ناقلها أو ناشرها أو لقلة نزاهته العلمية، فما عليك إلا أن ترجع لأصل الوثيقة من دار الوثائق أو الأرشيف.. أما بالنسبة لمعظم وثائق التاريخ الإسلامي الوسيط فالأمر يختلف، فقد نشر المؤرخون العرب بدءاً من ابن اسحق وابن هشام مروراً بالطبري وابن مسكويه – حتى مؤرخي الدولة المملوكية وغيرها من الدول الإسلامية آلاف الوثائق .. أوامر سلطانية ، وقَفْيَات ، خطابات متبادلة.. الخ لكن الغالبية العظمى لهذه الوثائق ليس لها أصول بين أيدينا، لذلك فالحكم عليها متوقف على مدى ثقتنا في المؤلف، والوثيقة في هذه الحالة مثلها مثل الرواية العادية تخضع للنقد والتحليل والترجيح لكن ليس لدينا وسيلة مادية حاسمة للتأكد من صحتها على نحو مانفعل في وثائق التاريخ الحديث أو وثائق التاريخ الوسيط والقديم التي بين أيدينا نسخها الأصلية، نستطيع أن نذهب بها للمعمل ونحدد عُمرها بالوسائل العلمية، ونقارن أختامها والتوقيعات عليها، ونقارن كتابتها بنوع الكتابة في ذلك العصر وماإلى ذلك فمثل هذه الوسائل المادية ذات نتائج حاسمة لاتقبل الجدل .

وهذا يوضح أن الباحثين في مجال التاريخ الوسيط الإسلامي يتعبون تعباً شديداً في تحقيق المسائل الخِلافيَّة لعدم وجود الوثائق الأصلية في معظم الأحوال. وليست الوثائق بأعز

---

(١) انظر ماكتبناه عن النقد المادي للوثائق في الصفحات التالية .

على أصحاب الفرض من حديث الرسول عليه السلام الذي تعرض لحملة أكاذيب ووضع شرسة لتحقيق أغراض سياسية وشعوبية لولا أن هيأ الله له رجالاً بحثوا فيه وسنوا في بحثهم منهجاً مازلنا نترسم خطاه حتى اليوم .

لكن هذا لايعني أنه لاتوجد وثائق أصلية منتمية للعصور الإسلامية. إذ الواقع أن عدداً كبيراً من هذه الوثائق مازال موجوداً ، لكن أماكن وجوده ليست عادة هي دور الوثائق والأرشيفات وإنما المحاكم (خاصة وثائق الوقف) والمتاحف (خاصة التي تهتم بالتراث الإسلامي).

وتحتفظ وزارات الأوقاف ودواوينها في العالم العربي والإسلامي بكثير من وثائق الوقف ذائعة الصيت والتي تنتمي إلى العصر الوسيط والدولة العثمانية، وتوجد أيضاً وثائق من هذا النوع وغيره في المديرية العامة للأوقاف في أنقرة كما يوجد كثير من وثائق الوقف والسجلات القضائية في بعض المحاكم الشرعية بما لها من أهمية كبيرة في دراسة التاريخ الاجتماعي والعمراني.[1]

ووثائق الوقف تشير لكثير من المظاهر الحضارية في العالم الإسلامي ، فالوقف كثيراً مايُخَصص للإنفاق على البيمارستانات ومدارس الأيتام وعمران المساجد وعتق الأرقاء والإفراج عن المسجونين وما إلى ذلك . ووثيقة الوقف غالباً ماتقدم وصفاً للبيمارستان أو المدرسة أو المسجد .. وذلك كله يعين المؤرخ على تقديم وصف حضاري زاخر بالتفاصيل..[2]

ويذكر الباحثون أن العصر المملوكي بالذات يتميز بكثرة وثائقه التي مازال جزء كبير منها موجوداً .

وبعض وثائق العصر المملوكي لاتوجد في إدارات الأوقاف والمحاكم وإنما توجد في المكتبات وذلك مثل المكتبة الظاهرية بدمشق[3].

وبعض الوثائق الإسلامية مكتوبة على البردى ، إذ عثر الباحثون على برديات تُعطي دلالات

---

(١) إبراهيم ، عبد اللطيف : وثائق الوقف على الأماكن المقدسة . نشره ضمن بحوث مصادر تاريخ الجزيرة العربية . الرياض ، جامعة الرياض ، ١٩٧٧ (١٣٩٧) جـ١ . ص ٢٥١ .

(٢) إبراهيم ، عبد اللطيف : المرجع السابق . ص ٢٥١ .

(٣) إبراهيم ، عبد اللطيف : المرجع السابق . ص ٢٥٥ .

حضارية عن حياة المصريين الاجتماعية والاقتصادية في ظل الحكم الإسلامي في عهد الدولتين الأموية والعباسية، وتُحدد هاتان الدولتان لأن البرديات المعروفة الآن تغطيهما وإن كان هذا لايمنع اكتشاف برديات أقدم من ذلك فيما بعد

والوثائق البردية الخاصة بمصر «تنقسم إلى قسمين : قسم مكتوب باللغة اليونانية، قام الأستاذ بل H.G.Bell بنشره ، وهو موجود في الجزء الرابع من مجموعة أوراق البردي المحفوظة في المتحف البريطاني في لندن وقسم مكتوب باللغة العربية، قام بنشره الأستاذ أدولف جروهمان Adolf grohmann أستاذ اللغات السامية وتاريخ الحضارة الشرقية في الجامعة الألمانية في براج (القاهرة ١٩٣٤) وحوى عدداً وفيراً من أوراق البردى ومجموعة من الألواح ، وقام بترجمته من الإنجليزية إلى العربية الأستاذ الدكتور إبراهيم حسن، وهو من الكتب الجديرة بالقراءة والدراسة.(١)

(١) حسن ، على إبراهيم : استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام وفي التاريخ المصري الوسيط . القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط ٢، ص١٥ .

obeikandl.com

النقد المادي للوثيقة أو الاثر الكتابي

١ – دراسة مادة الكتابة (حجراً أم رقا أم ورقا... الخ) وأداتها (مسمارا أم قلما بأنواعه وأشكاله المختلفة) والأصباغ أو الأحبار، كل ذلك يعتبر وسيلة أساسية في التحقق من صحة الوثيقة أو الأثر الكتابي ونسبته لعصره. لهذا فإنه يتحتم علينا أن نعرف أدوات الكتابة ومادتها عبر التاريخ على نحو موجز[1].

٢ – لقد كانت الكتابات الأولى عبارة عن صور فجّة Crude Picture محفورة على الصخور والأحجار ولحاء الشجر والمعادن والصلصال أو أي مادة أخرى متوفرة. وبعض هذه المخطوطات القديمة يمكن تفسيرها وإن لم يبق منها إلا ما صاغه الإنسان رسوماً على الحجر أو المعدن أو الصلصال، أو رسوم الإنسان البدائي أو المغرق في القدم التي صاغها على لحاء الشجر أو حتى على جلده هو أي جلد الإنسان، فهذه فنيت بفناء اللحاء والجلد البشري.

٣ – وفي الفترة من ٣٦٠٠ قبل الميلاد إلى ٢٣٥٧ قبل الميلاد ازدهرت الحضارة السومرية في دجلة والفرات. وفي حوالى سنة ٣١٠٠ قبل الميلاد بدأ المؤرخون السومريون في تسجيل وقائع التاريخ السومري المعاصر لهم وتصور ما مر عليهم من حقب تاريخية، وطريقة السومريين في الكتابة هي أقدم طريقة عرفت حتى الآن، وطريقة السومريين هذه ربما كانت أعظم إسهامات السومريين في الحضارة، وكلمة إسفيني أو مسماري Cuniform التي تصف أسلوب الكتابة السومرية مشتقة من اللفظ اللاتيني Cuneus وتعني وتد أو إسفين. وكانت المادة التي يكتب عليها السومريون هي الطين غير الناضج أو الطين اللين Soft أما أداة الكتابة فهي قلم يأخذ شكل الإسفين أو الوتد أو المسمار، غالبا ما يكون مصنوعا من المعدن أو العاج أو الخشب.

---

(١) اعتمدت في كتابة هذا المبحث على ترجمتي لكتاب جين كي جيتس : دليل القارىء والباحث في الكتب والمكتبات. والفصل الأول من هذا الكتاب خصب جدا في مجاله فمن أراد مزيدا من التفصيل عن النقد المادي للوثائق فليرجع إليه.

جيتس، جين كي : دليل القارىء والباحث لاستخدام الكتب والمكتبات . ترجمة د. عبد الرحمن عبدالله الشيخ. الكويت، دار البحوث العلمية، ١٩٧٩ (١٣٩٩ هـ) ص ١٦ – ٥٧.

وعندما كان الكاتب ينتهي من كتابته فإنه يترك الطين غير الناضج الذي يكتب عليه حتى يجف ويصير يابسا كالحجر.

وهذه القطع من الطين الجاف تكون بالقدر الذى يستطيع الكاتب معه أن يحملها في يده. وهذه القطع من الطين الجاف هي الكتب الأولى.

ولقد انتقلت الحضارة السومرية إلى بابل في الحوض الأدنى لميزوبوتاميا (العراق القديم) تلك الحضارة التي استمرت حتى سنة ٦٨٩ قبل الميلاد والتي قدمت للبشرية حمورابي وتشريعاته القانونية الشهيرة. وكان البابليون يستخدمون نفس مادة الكتابة عند السومريين ونفس الأداة المسمارية. على أن كثيراً جداً من هذه الكتابات المسمارية لم تصمد أمام عوادي الزمن، وإن نجا منها قدر لا بأس به استطاع مؤرخو العصور القديمة أن يكونّوا من خلاله صورة لطبيعة هذه العصور وروحها.

ومن بين الألواح الهامة والتي مازالت باقية حتى اليوم قانون حمورابى Code of Hammorabi وهو محفوظ الآن في متحف اللوفر في باريس، وكذلك ملحمة جلجامش Gilgamish Epie وهي جزء من قصة البابليين مع الطوفان.

٤ – أما المصريون القدماء الذين انتعشت حضارتهم في وقت مزامن للحضارات السومرية والبابلية والآشورية، فقد استخدموا مواد أخرى للكتابة إذ كانت أوراق البردي Sheet of Papyrus هي الأكثر شيوعا، وأقدم كتابات المصريين ترجع إلى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد، وكانوا يكتبون بأقلام هي عبارة عن أغصان معالجة بطريقة خاصة، ولم يكن البردى هو المادة المثلى للكتابة فقد كان عرضه الثقب أثناء إعداده للكتابة كما كان عرضة للتشقق حال جفافه وكان هناك احتمال أن تفسده المياه. ومع هذا فإن أوراق البردي كانت مقبولة للكتابة في منطقة حوض البحر المتوسط القديم، بل لقد ظل البردي يستعمل كمادة للكتابة حتى سنة ١٠٢٢ بعد الميلاد تقريبا. وكان شكل الكتاب أو الوثيقة في مصر القديمة هو اللفافة Roll. وعادة ما كانت اللفافة تتراوح ما بين ٢٠ قدم طولا و١٢ بوصة عرضا، وكانت اللفافة تصنع من جملة أوراق بردي يتم توصيل نهاياتها مع بعضها.

أما الحفر المقدس على الأحجار فقد كانت تستخدم فيه الكتابة الهيروغليفية.

وهناك برديات كثيرة تعد مصدرا أساسيا لبعض مراحل التاريخ الإسلامي خاصة أحوال المصريين أيام الدولتين الأموية والعباسية.

أما الفينيقيون فقد استخدموا أيضا أوراق البردي وكانوا يستوردونه من مصر ويتاجرون به في منطقة البحر المتوسط.

٥ – أما الصينيون فقد عرفوا الكتابة في الألف الثالثة قبل الميلاد وكانوا يكتبون على العظام وظهور السلاحف وسوق البامبو والأقراص الخشبية والحرير وقطع الكتان وكانوا يستخدمون الأقلام المدببة الأطراف والأقلام التي في نهاياتها فرشاه وريش الطيور Quill.

٦ – وفي بداية الألف الثانية قبل الميلاد كانت كريت مركزا لحضارة متطورة للغاية حيث انتشرت هذه الحضارة الكريتية في بلاد اليونان، وبعد وفاة الاسكندر سنة ٣٢٣ قبل الميلاد وحتى الغزو الروماني شهدت المنطقة حضارة عرفت بالحضارة الهيلينستية Hellenistic. وما يهمنا في هذا المجال هو أن هذه الحقبة الحضارية شهدت إلى جانب أوراق البردي المستوردة من مصر، الحجارة والبرونز بالإضافة إلى الأقراص الخشبية المطلية بالشمع Wooden Tablets wax Coated بالإضافة إلى استخدام الرق أو الجلد المرقق Parchement والجلد، ولقد كان استخدام الجلد والرق في الكتابة مدعاة لظهور أقلام من نوع جديد، لذا ظهر القلم العريض السن Broad Pointed-pen المصنوع من البوص أو ريش الطيور. ولقد كان الرق أقل عرضة للتلف. ومهما يكن فقد ظل البردي والرق يتنافسان كمادة للكتابة زهاء قرون ثلاثة، ولم يصبح للرق الغلبة والسيادة إلا في القرن الثالث الميلاد. ولقد كانت الكتب الإغريقية في شكل لفافة Roll وعلى شكل أقراص خشبية مطلية بالشمع وعلى شكل دفتر Codex وهذا الشكل الأخير كان يأخذ شكلا قريباً جدا من شكل الكتاب الذي نعرفه اليوم، وإن كان مكونا من عدة أوراق من البردي أو عدة صحاف من الرق. ولم تختلف مواد الكتابة أيام الرومان عما كان موجودا قبلهم.

٧ – بانحلال الامبراطورية الرومانية آذنت شمس الآداب الكلاسية بالغروب وعانت كل المكتبات بما في ذلك المكتبات التي تضم بين جنباتها مجموعات كتب مسيحية من التخريب على يد البرابرة غير أن الأديرة كانت هي المكان الذي حفظت فيه هذه الآداب الكلاسية، كما تطورت هذه الآداب في الأديرة خلال العصور الوسطى.

وفي النصف الأخير من القرن السادس أصبحت الأديرة مركز كل الدراسات ومراكز لحفظ كل الكتابات الدينية أو العلمانية، وفي القرن السادس أيضا شهدت قاعات النسخ Scriptoria في ايرلندا بالذات نشاطا كبيرا محوره نسخ المخطوطات القومية والفنون القومية. وهكذا بدأ تطور الكتاب المخطوط في أوروبا وشهدت هذه الفترة مخطوطات مجودة الخط زاخرة بالزخارف الجميلة، ولقد بلغت المخطوطات الإيرلندية ذروة جمالها وإتقانها في مخطوط عن الكرة الأرضية كتب في القرن الثامن الميلادي.

ولقد تميز حكم شارلمان (٧٦٨ - ٨١٤) بالجهود المبذولة لرفع مستوى التعليم مما جعل هذه الفترة فترة ازدهار ثقافي وتعليمي إذ تم إنشاء قاعات للنسخ والمخطوطات في الأديرة، وفي هذه القاعات التي لا يحصى عددها عبر أرجاء القارة الأوروبية نسخت المخطوطات وأعيد نسخها على أيدي الرهبان والناسخين من غير الرهبان.

وعن طريق هذه المخطوطات عرفنا معظم معلوماتنا عن العالم القديم ففي هذه المؤسسات الديرية تم حفظ الإنجيل وملاحم هوميروس وأشعار فرجيل والمسرحيات اليونانية والأعمال العلمية والقانونية والفلسفية لعمالقة مفكري العالم القديم.

والمواد الرئيسية التي كان يستخدمها الرهبان في الكتابة هي الرق المجفف وأقلام من ريش الطيور وأنواع كثيرة من الحبر ذات ألوان مختلفة وكان الكتاب يتخذ شكل لفافة أو دفتر.

ولقد كانت مكتبات الأديرة صغيرة في بادىء الأمر وكانت المخطوطات غالية الثمن، إذ كان ثمن نسخة الإنجيل المخطوطة تساوى ما يعادل عشرة آلاف دولار هذه الأيام، كما كان يمكن مبادلة مخطوطة القداس وهو كتاب صلوات ودعاء بحقل من الكروم.

وبظهور الجامعات زاد ازدهار الكتب المخطوطة وأصبحت الجامعات هي نفسها مراكز لنسخ الكتب وبيعها، وكانت هذه الجامعات تمنح الناسخين على الرق والجلد إجازات أو شهادات لتبيان مدى إتقانهم لعملهم.

٨ - لقد شهد عصر النهضة حماساً شديداً لاقتناء الكتب غير أن هذه الحاجة لم يكن من السهل إشباعها عن طريق النسخ اليدوي، ونتيجة هذه الحاجة الملحة تم تطوير وسيلة جديدة في

منتصف القرن الخامس عشر.. إنها طريقة الطباعة بالحروف المتحركة Movable types ولقد كان نجاح الطباعة يعتمد على رخص تكاليف إنتاج النسخ وعلى توافر الحبر المستخدم، والمطبعة التي يجب أن تواجه الضغط المتزايد لإنتاج النسخ المطلوبة.

وفي الربع الثاني من القرن الخامس عشر توفر كل ما يساعد على الطباعة فلقد توفر الورق وأضحى رخيصا جيد الصنعة. ولقد تم إكتشاف الورق في الصين في القرن الثاني ولكنه كان قليل الاستعمال حتى بين أهل الصين أنفسهم وانتقل الورق إلى أوروبا عبر طرق التجارة إذ جلبه الأوروبيون من بلاد فارس في القرن الثامن للميلاد وأحله المصريون محل البردي في القرن التاسع للميلاد واستخدمه المسلمون في أسبانيا في القرن الحادى عشر للميلاد، وأصبح يصنع في ايطاليا في القرن الثالث عشر للميلاد أو حوالى سنة ١٢٧٠.

وبانتشار الورق هذا الانتشار الكبير وظهور الطباعة بالحروف المتحركة دخلت البشرية مرحلة جديدة.

وهكذا يمكننا القول إن نهاية القرن الخامس عشر هي بداية النهاية لعصر المخطوط الأوروبى وبداية المطبوع إذ حلت المطبعة محل الناسخ، وحل الورق محل الرق وما سواه.

٩ – لكن هل يمكن القول إن النقد المادي أو الخارجي للوثيقة أو المطبوع قد انتهي بظهور المطبعة؟ بالطبع لا، وإن اختلفت أساليب هذا النقد المادي. فمادة الورق تساعدنا في نسبة الوثيقة لعصرها ومكانها أحيانا. ففى نهاية القرن الرابع عشر كان الورق يصنع في فرنسا وألمانيا من خرق الكتان بعد تنعيمها وضغطها بآلات خشبية ثم تكسى بمادة غروية حتى لا تتشرب الحبر أما الأحبار فكانت زيتية.

وواقع الأمر أن سنة ١٤٠٠ تعتبر حدا فاصلا إذ استطاع جوتنبرج أن يطور تكنولوجيا الطباعة بالحروف المتحركة. وكان أول ما طبعه هو ٤٢ سطرا من الإنجيل وذاع صيت هذه السطور الإنجيلية لدرجة أنه أطلق عليها اسم إنجيل جوتنبرج Gutenberg Bible وكان ذلك بين سنتي ١٤٥٠ و١٤٥٦ للميلاد. وكان هذا الإنجيل هو أول كتاب يطبع بطريقة الحروف المتحركة. ولقد كانت حروف الكتاب المطبوع في بادئ الأمر شبيهة بالحروف اليدوية أى المخطوطة باليد

وكانت تترك مسافات للزخرفة وكتابة العناوين الرئيسية باليد، أما الرسوم التوضيحية فتطبع عن طريق الحفر على الخشب، وكانت الكتب المطبوعة تسمى Incunabula ومازال هذا الاسم يطلق على الكتب المطبوعة الأولى أو أوائل المطبوعات وهي كلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية Incunabulum وبحلول عام ١٧٠٠ كانت الكتب تأخذ الشكل الذي نعرفه الآن، لها صفحة عنوان وبها رسوم توضيحية أحيانا، ولها صفحة محتويات بل ولها كشافات أو شيء قريب من الكشافات.

١٠ - بقيت مسألة هامة وهو أنه قد توجد كتابات بردية في عصر الرق وقد توجد كتابات على الرق في عصر الورق، وقد توجد مخطوطات في عصر الطباعة، وقد توجد كتابات بالقلم البوص (لا زال الخطاطون أو مجودو الخط يكتبون بأقلام البوص حتى الآن) في عهدنا الحاضر. ومعنى ذلك كله أن المراحل الحضارية قد يتداخل بعضها مع البعض الآخر، ولا تأتي مرحلة لتجب أو لتنهي بالضرورة مرحلة سابقة، وإنما الأساليب أو الوسائل الحضارية قد تتعايش معاً، حقيقة قد يكون لإحداها الغلبة والذيوع والانتشار ولكن هذا لا يعني انتهاء أو موت الوسيلة السابقة انتهاء تاما، فركوب الحمار قائم في عصر السيارة والسيارة قائمة في عصر الطائرة..وهكذا.

لكن العكس غير قائم أو يحتاج إلى تثبيت شديد فوجود مخطوطة ورقية سابقة على الزمن الذي نعرف أن الورق قد اكتشف فيه، تعني كشفا جديدا إن صحت نسبتها إلى ذلك العصر، إن ذلك يعني تغييرا للحقائق التاريخية الموجودة، ويعود باكتشاف الورق عُمقاً في التاريخ سنوات أو أكثر .. لذا لابد من التثبت المعملي أو الفحص المعملي لمعرفة التاريخ الحقيقي للوثيقة أو المخطوط في هذه الحالة، لمعرفة ماإذا كان مزيفاً أم لا؟

نخلص من كل هذا بحقيقة هامة وهو أن الفحص الشكلي أو المادي للوثيقة أو المخطوط، من حيث نوع المادة المكتوب عليها وأداتها من أقلام وأحبار يعطينا معلومات مفيدة وصادقة عن صحة الوثيقة ونسبتها لعصرها الذي تنتسب إليه .

١١ - وبالإضافة لكل ماسبق هناك التثبت من الخط، أو انتماء الخط للعصر الذي كتب فيه والمنطقة التي كتب فيها فالخط المغربي غير الخط الشرقي. والمصريين وأهل الجزيرة بعض الخصائص الإملائية تختلف عن تلك التي يتبعها السوريون . وهكذا، والخط العربي مر بمراحل

زمنية كان غير منقوط فنقط .. ووضع هذه الاعتبارات في ذهن الباحث يساعده على تحديد مدى صحة الوثيقة، وقد تناولنا ذلك تفصيلاً في غير هذا الموضع.(١)

نقد مضمون الوثيقة :

تناولنا فيما سبق الطرائق المادية للتأكد من صحة الوثيقة وهو ماأسميناه النقد المادى وبيّنا أن نتائج هذا النقد حاسمة في الغالب الأعم .

أما نقد المضمون فيستلزم قراءة الوثيقة وتحليل محتوياتها للتأكد من الآتي :

١ – ان أسلوب الوثيقة يتمشى مع الروح العامة لأسلوب العصر الذي كتبت فيه .

٢ – ألا تورد الوثيقة أعلاماً أو أسماء لم تكن موجودة في زمن كتابة الوثيقة .

ويمكن عن طريق تحليل المضمون اكتشاف ماإذا كانت الوثيقة مزيفة أم لا؟

وقد ضرب الباحثون والمؤرخون أمثلة عديدة على ذلك.(٢)

الوثيقة بين الآثاريين والوثائقيين :

أوضحنا فيما سبق أن الوثائق من الطراز الأول هي كل المراسلات الرسمية وعقود البيع والشراء والإيجار والاستدانة والمشاركة والتمويل وعقود الزواج وقوائم الأسماء وقوائم الحسابات والوقفيات .. الخ . وقلنا إن أهمية هذه الوثائق أنها إن صحت فإن كاتبيها لم يريدوا بها شهادة التاريخ ومن هنا يأتي صدقها . وسواء كتبت هذه الوثائق على العظام أو العسب أو الطين غير الناضج أو الصخر أو البردي أو الرق أو الجلد أو الورق أو الخشب أو الخشب المطلي بالشمع، فهي جميعا وثائق .

ولكن لاعتبارات عملية، لأنه كما سبق أن قلنا يستحيل على الإنسان الواحد بعمره القصير وقدرته المحدودة أن يتخصص في العلم كله أو التاريخ كله، لذلك فقد جرت العادة أن تكون الوثائق المنقوشة على الحجر والمكتوبة على الطين من اختصاص علماء الآثار، والوثائق المكتوبة

---

(١) راجع ما كتبناه في الباب الثاني عن المخطوطات.

(٢) لمعرفة أمثلة على ذلك ينصح الطالب بالرجوع للكتابين التاليين:

(أ) عثمان، حسن : منهج البحث التاريخي.

(ب) هارون، عبد السلام : تحقيق النصوص ونشرها.

على الجلد والرق والبردي والورق غالبا من اختصاص الوثائقيين فالاثاريون يهتمون بالنقوش على شواهد القبور والكتابات في المساجد رغم أنها أحد مصادر المؤرخ الذي يعمل في مجال التاريخ الاسلامي وغالبا ما يهتم الأثاريون بأوراق البردي أيضا سواء أكان مكتوبا عليها وثائق أم كتابات عادية.

وعلى الباحث التاريخي أن يراعي ذلك كله ويضعه في اعتباره فيراجع ما كتبه الأثاريون والوثائقيون من كتابات متصلة بالعصر أو الفترة التي يؤرخ لها.

تعريف ببعض دور الوثائق في العالم:(١)

سبق القول إن الوثائق هي المصدر البكر للتاريخ، ولقد توفرت الوثائق بكثرة خاصة في مجال التاريخ الحديث والمعاصر. وقد عمدت كثير من الدول إلى تجميع وثائقها في مكان محدد عرف باسم دار الوثائق القومية أو دار المحفوظات القومية أو الأرشيفات القومية . وعمدت إلى تنظيمها ووضع الفهارس لها وإصدار طبعات ببعض الوثائق الهامة. كما عهدت بعض الحكومات إلى تخريب بعض الوثائق الضارة بسمعتها أو حجبها عن دور الوثائق أو عن القراء والباحثين .

وبعض البلاد ذات التاريخ العريق لديها وثائق مكتوبة تلقي ضوءاً على تاريخها الوسيط والقديم كالبرديات المصرية مثلاً التي تؤرخ لمصر الفرعونية والإسلامية لكن جرى العرف أن يكون مكان هذه البرديات (الوثائق) هو المتحف وليس دار الوثائق وفي بعض الأحيان تحتفظ بها بعض المكتبات .

– وفي السطور التالية إلمامة عن بعض دور الوثائق

(١) اعتمدنا اعتماداً أساسياً في تغطية هذه الفقرة على ماكتبه محمد أحمد حسين في كتابه : الوثائق التاريخية، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٤.

(١)

الأرشيف القومى الفرنسى

Archives Nationales

في ١٢ سبتمبر ١٧٩٠ صدر قانون بإنشاء الأرشيف القومى الفرنسي وكانت نواة وثائقه مجموعة وثائق الجمعية التأسيسية Assemble Constituante ورغم هذه الخطوة الحضارية التي خطتها حكومة الثورة إلا أنها أصدرت أمراً بحرق وثائق النبلاء والوثائق الإقطاعية، وهي خطوة غير حضارية بلاشك وغير متمشية مع الروح العلمية أيضاً .

ومنذ سنة ١٧٩٤ أصبح الاطلاع على وثائق الأرشيف القومي الفرنسي حقاً لكل مواطن مع تحفظات سنذكرها فيما بعد .

وقد نقلت كثير من وثائق الأقاليم إلى هذا الأرشيف المركزي، ولما تضخمت مجموعاته سمح للأرشيفات الإقليمية بالاحتفاظ بوثائقها، وكانت هذه الأرشيفات الإقليمية تابعة لوزارة الداخلية ثم نقلت تبعيتها لوزارة المعارف (التعليم) بعد أن تقلبت في تبعيتها قبل ١٨٧٠ بين وزارتي الداخلية والتجارة.

وقد نقل نابليون إلى الأرشيف القومي وثائق من ألمانيا وأسبانيا وبلجيكا والفاتيكان.

وفي دار الوقائق القومية الفرنسية ثلاثة أقسام رئيسية هي: القسم التاريخي ويضم وثائق منذ سنة ١٧٨٩، والقسم الإداري ويضم وثائق من أملاك الدولة وأوامر ملكية وأرشيفات الوزارات خلا الخارجية والحربية والعدل، أما القسم التشريعي فيضم القوانين التي أصدرتها الهيئات السياسية منذ سنة ١٧٨٧ إلى الوقت الحاضر بالإضافة لوثائق وزارة العدل.

ولا يجوز الاطلاع على الوثائق التي لم يمض عليها أكثر من خمسين سنة إلا بإذن من الجهات المختصة على أن وثائق وزارات الخارجية والحربية والبحرية والطيران ومجلس الوزراء لها وضع خاص وتعفي هذه الوزارات من ضم أرشيفها إلى الأرشيف القومي إلا إذا رغبت هي في ذلك ولها أن تحتفظ لنفسها بأرشيفاتها الخاصة وقد سمحت وزارة الحربية للباحثين بالاطلاع على وثائقها السابقة على سنة ١٨٤٨ ونقلها إلى الأرشيف القومي.

مما سبق يتضح أن الباحث في مجال التاريخ الفرنسي لا يمكنه الاستغناء عن التردد على الأرشيف الفرنسي القومي أو مراسلته وهذا الأرشيف لا يفيد الباحثين في مجال التاريخ الفرنسي فحسب وإنما يفيد الباحثين أيضاً في تاريخ أوروبا الحديث عامة فهو يحوي كما سبق القول وثائق ألمانية وأسبانية وبلجيكية وأخرى من الفاتيكان. وكل الباحثين في تاريخ المغرب العربي الحديث وأفريقيا الناطقة بالفرنسية وسائر المستعمرات الفرنسية السابقة لا يمكنهم كتابة تاريخ حقيقي عن هذه المناطق دون الاستعانة بالأرشيف الفرنسي.

أما الباحثون في مجال العلاقات الفرنسية بالدول الأخرى كالعلاقات الفرنسية العربية عامة، أو العلاقات الفرنسية المصرية أو اللبنانية... وما إلى ذلك فإن الوثائق الفرنسية بالإضافة للوثائق العربية أو اللبنانية أو المصرية تساعد على خروج البحث بشكل متكامل.

(٢)

دار الوثائق البريطانية

Public Record Office

في ١٤ أغسطس سنة ١٨٣٨ صدر القانون البريطاني بجعل كل وثائق المملكة تحت إشراف قاضي القضاة، كما نص القانون على إنشاء دار وثائق تضم كل مستندات المملكة وسميت The public Record Office غير أن الدار لم تفتح إلا سنة ١٨٥٦ بعد أن تم بناؤها الحالي في لندن (Chancery Lane) ولا يجوز نقل أي وثيقة من مكانها في الوزارات والمصالح الحكومية البريطانية إلا بعد مرور عشرين سنة عليها.

ولا يمكن في الواقع لأي باحث في مجال التاريخ العربي الحديث أن يستغني عن الرجوع لهذا الأرشيف وكذلك الباحث في تاريخ المستعمرات البريطانية السابقة.

وقد لاحظ المؤلف أثناء مراسلته للأرشيف البريطاني أن كثيرا من الوثائق قد تم التخلص منها لسبب أو لآخر فعند طلب بعض الوثائق خاصة في مجال النشاط الإرسالي أو التبشيري أو الأوضاع الاقتصادية للدول الأفريقية في القرن التاسع عشر، كان الجواب أنها – أي هذه الوثائق – قد تم التخلص منها (Damged).

(٣)

الأرشيف الأمريكي القومي

يعتبر الأرشيف القومي الأمريكي الذي أنشىء بقرار من الرئيس الأمريكي سنة ١٩٣٣ هو أكثر دور الوثائق تنظيما وأخذاً بالتقنيات الحديثة. ويصدر الأرشيف مرجعين أساسيين هما:

- National Archives Guide

- Your Government Records in the National Archives.

وهناك وثائق يحظر الاطلاع عليها وتلك قسمتها لوائح الدار إلى ثلاثة أنواع:

١ – وثائق سرية للغاية Top Secret وفي نشر هذه الوثائق أخطار كبيرة على الدولة.

٢ – وثائق سرية وهي أقل خطورة من السابقة.

٣ – وثائق نشرها يضر بحقوق الأفراد والدولة، بالإضافة إلى وثائق لا يطلع عليها إلا باحثون لهم مستوى عال.

وقد حاول المسئولون في الأرشيف القومي الأمريكي أن يوسعوا من دائرة مقتنياته فأصبح يضم وثائق عن التاريخ الأوربي والعربي.

ودار الوثائق الأمريكية تفيد في المقام الأول في التاريخ للولايات المتحدة وبريطانيا كما أن الدار تزخر بالوثائق عن دول أفريقيا، وليس أدل على ثراء هذه الدار من أن أحد الباحثين المصريين حصل منها على وثائق هامة وكثيرة عن جهود مصر الكشفية في أفريقيا في القرن التاسع عشر، كما حصل منها باحث آخر على وثائق عن ليبيريا.

(٤)

الدفترخانة أو دار المحفوظات المصرية بالقلعة

(أخيرا دار الوثائق القومية)

تقع في القاهرة في حي القلعة وقد تم انشاؤها سنة ١٢٤٤ هـ وقد كان النظام الإداري يقضي بأن تظل الدفاتر والسجلات بيد النظار والباشكاتب والمباشرين في المأموريات والبنادر

ودواوين المحروسة، وكان هؤلاء حينما يعزلون أو ينقلون يأخذون معهم وثائقهم، وقد نشأ عن هذا اضطراب الأعمال، الأمر الذي جعل محمد على يفكر في إنشاء الدفترخانة، وقد كان الغرض هو أن تجمع في مكان واحد سجلات جميع الأقاليم والدواوين المحفوظة في بعض الأماكن وعند الباشكاتب حتى تصان من التلف ويرجع إليها عند الحاجة[1]

وتعتبر دار الوثائق المصرية من أغنى دور الوثائق في العالم في مجال التاريخ الاقتصادي أو النشاط الزراعي بالذات نظرا لطبيعة الدولة المصرية فهي تضم دفاتر صيارف القرى ودفاتر الشونة ومكلفات الأطيان بالإضافة إلى دفاتر الدواوين. وفي دار المحفوظات قسم ضخم للوثائق التركية وهو قسم هام جدا يشمل وثائق تؤرخ للإدارة التركية في مصر وفي البلاد العربية أيضا. والجدير بالذكر أن دار الوثائق المصرية تضم مجموعة ضخمة عرفت باسم وثائق الحجاز تؤرخ للجزيرة العربية منذ بدء الحركة الوهابية. كما توجد وثائق متعلقة بالسودان منذ امتداد الادارة المصرية له، ووثائق تؤرخ لأوغندة والصومال والحبشة، ذلك أن النفوذ المصري كان قد امتد إلى هذه المناطق جميعا.

ونظرا لعمق العلاقات المصرية بالعالم العربي فقلما نجد دولة عربية ليس لها وثائق تؤرخ لها في دار الوثائق القومية.

ومما يؤسف له أن الدار المصرية رغم أنها تزخر بهذا الفيض الهائل من الوثائق التاريخية إلا أن عدم استخدامها للنظم الحديثة في فهرسة الوثائق وتلخيصها وتصويرها يحول دون الاستخدام الكامل لهذا الفيض الهائل من الوثائق وذلك عكس دور الوثائق الأمريكية والفرنسية والبريطانية التي تستخدم الميكروفيلم وغيره من الوسائل الحديثة.

وفي مصر مجموعات ضخمة من الوثائق المكتوبة على البردي والرق والجلد والورق المقوى موزعة بين دار الكتب المصرية والمحاكم وهي وثائق هامة تؤرخ لمصر الإسلامية. ويذكر الدكتور علي إبراهيم حسن[2] أن «هذه الأوراق البردية هي مصدر هام لتاريخ مصر الإسلامية لا يستطيع مؤرخ وصف الحياة العامة في مصر وصفا دقيقا دون الرجوع لهذه الأوراق التي أخرجت من أرض مصر.

---

(١) حسين محمد أحمد : الوثائق التاريخية . ص ٦٩.

(٢) في كتابه استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام .... ص ٥٤.

وأوراق البردي الخاصة بمصر تنقسم إلى قسمين : قسم مكتوب باللغة اليونانية قام الأستاذ بل H.G. Bell بنشره وهو موجود في الجزء الرابع من مجموعة أوراق البردي المحفوظة في المتحف البريطاني بلندن، وقسم مكتوب باللغة العربية قام بنشره أدولف جرومان Adolf Grohman أستاذ اللغات السامية وتاريخ الحضارة الشرقية في الجامعات الألمانية في براغ وقد نشر كتابه هذا في القاهرة سنة ١٩٣٤ وحوى عددا وفيرا من أوراق البردي ومجموعة من الألواح وقام بترجمته إلى العربية الدكتور حسن إبراهيم حسن وهو من المراجع الجديرة بالدرس.

قراءات مقترحة

(*) حسين . محمد أحمد : الوثائق التاريخية. القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٥٤.

وهو الكتاب الوحيد بالعربية فيما أعلم الذي يقدم تعريفا مقبولا لبعض دور الوثائق التاريخية في العالم، وقد شغل مؤلفه رحمه الله وظيفة مدير لدار الكتب المصرية، كما قام بتدريس الوثائق وتاريخ الكتب والمكتبات لطلبة قسم الوثائق والمكتبات بجامعة القاهرة.

ثانيا : المسكوكات

NUMESMATICS

وأهم المسكوكات هي النقود أو العملة، ولتبيان المعلومات الهامة التي يمكن أن نحصل عليها من النقود المسكوكة نضرب مثلا معاصرا:

لنتناول ريالا سعودياً مثلا، سنجد عليه عدة معلومات تاريخية فى غاية الأهمية(١).

وجه (١) .

- السنة الهجرية ١٤٠٠

- قيمة العملة : ١٠٠ هلله بالرقم العربي والأوربي.

وجه (٢) .

اسم الملك.

اسم الدولة : المملكة العربية السعودية.

فى الوسط : سيفان متقاطعان ونخلة.

مادة العملة .

سبكة أو خلطة معدنية قوية بها نسبة من الفضة.

ماذا يعني هذا؟

إنه فيض من المعلومات التاريخية يمكن كتابتها على النحو التالي:

المملكة العربية السعودية دولة إسلامية اتخذت من السيف رمزاً تاريخيا لها . وتحتل النخلة

---

(١) عملة سعودية متداولة في السوق.

obeikandl.com

مركزاً هاماً فى اقتصاديات البلاد فيبدو أن المملكة العربية السعودية من أول الدول المنتجة للتمور، وفى سنة ١٤٠٠ هـ كان يتولى هذه الديار جلالة الملك خالد بن عبد العزيز وكان الاقتصاد فى عهده مزدهرا منتعشا بدليل أن الريال موضوع الدراسة حسن السبك خلطته المعدنية قوية. ربما فاقت قيمته الذاتية أكثر من الريال، والمملكة العربية السعودية تستخدم التاريخ الهجرى تاريخا رسميا للدولة مما يدل على تمسكها بالوجه العربي والإسلامي. أليست كل هذه المعلومات الدقيقة والهامة موجودة على الريال الذى بين أيدينا؟

نضرب مثالا بعملة أو مسكوكة أخرى، مائة فلس كويتية:

الوجه (١) .

- صورة سفينة شراعية.
- التاريخ بالهجري والميلادي.

الوجه (٢) .

- قيمة العملة.
- اسم الكويت باللغة العربية للأعلى.
- اسم الكويت KUWAIT باللغة الإنجليزية للأسفل.

والآن لنضع هذه المعلومات القيمة كحقائق تاريخية.

الكويت دولة بحرية أو يلعب البحر دورا هاما فى حياتها (رمز السفينة) ويلاحظ أن قيمة العملة الكويتية مكتوبة بالعربية والانجليزية وكذلك اسم الكويت ويبدو أن عددا كبيراً من الأجانب يعيشون فى هذا البلد. وتتمتع الكويت باقتصاد قوي.

ووجود العملة الكويتية بكثرة فى البنوك السعودية أو وجود الريالات بكثرة فى البنوك الكويتية يدل على تبادل تجاري متين.

طبعاً هذه المعلومات ليست جديدة بالنسبة للطالب لأنها معلومات معاصرة لكن بعد مرور ألف سنة أو يزيد فإن هذه المعلومات تعتبر بالنسبة للباحث التاريخي معلومات أساسية وجوهرية وصادقة عن وضع المملكة العربية السعودية سنة ١٤٠٠ هـ وهي أصدق مما يجده فى الكتب المؤلفة[1].

(١) عملة كويتية متداولة في السوق.

وقد أمكن للمؤرخين عن طريق قطعة نقود ضربت فى القاهرة أن يعرفوا أن قلاوون اتخذ لنفسه لقب «قسيم أمير المؤمنين» ولم يكن أحد يعرف قبل ذلك أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون اتخذ لنفسه هذا اللقب، كما أن المراجع التاريخية التي وصلت إلينا لم تشر لذلك، وثبت عن طريق دراسة السكة الهندية أن نفوذ الخليفة المستكفي بالله قد امتد فى سنة ٧٢٦ (١٣٢٦م) على بلاد الهند إذ منح محمد بن طغلق حاكم دلهي (دهلي) تفويضا بالحكم كان له أكبر الأثر فى تدعيم سلطانه(١).

والواقع أن العملة الاسلامية تُعد من أهم مصادر التاريخ الإسلامي. وحتى إذا ما اثبت الباحث أن أمة ما أو دولة ما أو جماعة ما لم يكن لها فى وقت من الأوقات عملة، أو كانت تستخدم عملة غيرها فإن ذلك أيضا لا يخلو من دلالة تاريخية.

والثابت أن عرب الجاهلية لم يسكّوا النقود وإنما استعملوا نقود من جاورهم من الأمم كالدنانير البيزنطية والدراهم الساسانية بالإضافة للسكة الحميرية، وهذه وتلك كان العرب يجلبونها معهم ويتعاطونها فى أعمالهم التجارية فى رحلاتهم للشمال والجنوب، أو ترد إليهم مع من يقدم من تجار بيزنطيين أو يعيشون فى أملاك الدولة البيزنطية، ومع تجار ساسانيين أو يعيشون فى كنف الدولة الساسانية..

وكان الدينار البيزنطي مستديرا يحمل أحد وجهيه صورة الإمبراطور البيزنطي (وُجِدَت دنانير بيزنطية عليها صورة هرقل ودنانير أخرى عليها صورة هرقل وعن يمينه ابنه هرقليوناس وعن يساره ابنه قسطنطين) ويتوج رأس الامبراطور صليب. وعلى وجه الدينار الآخر يوجد الصليب يعلو مدرجات أربع محفوفاً ببعض الدعوات بالإضافة لمكان السك أو الضرب بالأحرف اليونانية واللاتينية معا. وظلت هذه الدنانير مستعملة إلى أن عربها نهائيا عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ) وهذا لا يمنع الرواية القائلة بأن معاوية بن أبي سفيان (٤١ - ٦٠ هـ) سكّ دنانير عليها صورته، ولكن ربما كان ذلك على نحو محدود(٢).

وكانت دنانير عبدالملك عربية خالصة لا تحوي أي رمز يناقض المعتقد الإسلامي أو يومىء لتأثير مسيحي.

---

(١) حسن، علي إبراهيم : المرجع السابق، ص ٥٨ - ٥٩.

(٢) الحسيني، محمد باقر. العملة الإسلامية في العهد الاتابكي، بغداد - مطبعة دار الجاحظ ١٣٨٦-١٩٦٦) ص ١٥ - ١٦.

أما الدراهم الساسانية والتي عرفها عرب الجزيرة قبل الإسلام وفي فجره فكانت عبارة عن قطع مستديرة من الفضة على أحد وجهيها صورة كسرى وعلى الوجه الآخر حارسان بينهما معبد النار وعلى الأطراف الخارجية الدراهم ثلاثة أهلة أو أربعة داخلها نجوم.

ويعمد بعض المؤرخين للكذب خاصة عندما يتناولون شخصية لا يميلون إليها ومن ذلك أن بعض المؤرخين زعموا أن الحجاج بن يوسف الثقفي سكّ دراهم في العراق كتب عليها (قل هو الله أحد هو الحجاج) ولكن أحد الباحثين العراقيين أجرى دراسة حاز بها على درجة الماجستير عن النقود والمسكوكات العربية في العراق وقد أثبت أن «الدراسات العلمية للنقود في المتاحف أو المجموعات الخارجية لم تثبت صحة ذلك»(١).

وعلى العموم يرجع المؤرخون تاريخ تعريب الدراهم إلى سنة ٧٩ هـ تقريبا ويرجع سرعة تعريب الدراهم عن الدنانير إلى أنها أقل قيمة كما أن الموكول بسكّها هم أمراء المقاطعات أو الولاة والدراهم كانت فضية وتحمل أسماء الولاة الذين ضربوها.

أما عن الفلس النحاسي فقد كان عمر بن الخطاب أول من سكّه ووصلنا فلس عليه اسم عمر وكان هذا سنة ١٧ هـ تقريبا.

هذه إلمامة يسيرة عن العملة كمصدر للتاريخ والواقع أن الباحث في التاريخ (الوسيط خاصة) لا يمكنه الاستغناء عن هذا المصدر الهام.

والواقع أن الباحث يمكنه أن يكتب تاريخا كاملاً مسلسلا زمنيا على نحو دقيق بالإضافة لكثير من الإشارات الحضارية والثقافية إذا كان بين يديه سلسلة متكاملة ومتعددة من المسكوكات.

ومن المحاولات الطريفة التي طالعتها حديثاً دراسة تتسم بالجدية، وهي تلك الدراسة التي كتبها كورنيليوس فيرميل CORNELIUS VERMEULE تحت عنوان:

Numismatic Art in America, Aethetics of the United States Coinage(٢)

---

(١) نفس المرجع. ص ٢٥.

(٢) يمكنك الاطلاع عليه في المكتبة المركزية (جامعة الملك سعود) تحت رقم تصنيف 737.4573 وهو نفس الرقم الذي قد يوجد عنده الكتاب في أي مكتبة أخرى. فأرقام التصنيف تدل على موضوع الكتاب وهي موحدة تقريبا في مكتبات المملكة العربية السعودية بل وغالبا في كل مكتبات العالم العربي. ولجمع ما كتبناه في الباب الثاني تحت عنوان فرعي : مراجع التاريخ في المكتبات.

وقد أورد المؤلف مجموعات كبيرة من النقود الأمريكية (وصورها في الكتاب واضحة) وشرحها وعلق عليها وذكر دلالة رموزها الثقافية، وترتيبه لقطع العملة تاريخي غالبا.

ومن الكتب الأساسية في التدريب على قراءة المسكوكات العربية كتاب Richard J.Plan والمسمى: Arabic Coins & How to read them وواضح من عنوان الكتاب أنه كتاب مبدئي، لذلك ينصح كل الباحثين الذين يتعاملون للمرة الأولى مع المسكوكات العربية أن يرجعوا إليه، وهو كتاب صغير الحجم (١٤٨ ص) وبه ما لا يقل عن ٣٠٠ شكل توضيحي(١).

هذا بالنسبة للنقود المسكوكة أو المعدنية أما النقود الورقية فيذهب بعض الباحثين إلى أن المسلمين لم يعرفوا النقد الورقي ولا النقد الخطي، فقد نشأ البنكنوت في القرن السادس عشر على أيدي الصيارفة في إيطاليا والصياغ في إنجلترا وتمتعت أوراقه بالقبول العام في تسوية الالتزامات خلال القرن التالي، الأمر الذي عبد الطريق للحكومات لإصدار نقودها الورقية في العصر الحديث(٢).

والواقع أن مُسلمِي آسيا الوسطى عرفوا النقود الورقية منذ وقت طويل ويوجد في المتحف البريطاني بعض هذه النقود المغولية الورقية ترجع للقرن الثالث عشر للميلاد. وبعض النقود الورقية المتداولة في آسيا الوسطى في القرن الثالث عشر وما بعده كان يكتب عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) بل إن شيوع النقد الورقي (كانت معمولة من ورق التوت بشكل متقن ومصدره بختم وإمضاء الموكلين بعملها وعليها الختم الرسمي للسلطان وتكتب بالحبر الأحمر) في آسيا الوسطى أدى إلى قبوله في العراق بعد الغزو المغولي(٣).

من كل ما سبق تتضح أهمية دراسة المسكوكات عامة والعملة خاصة كمصدر من مصادر التاريخ، لذا فإن الباحث ينصح دائما بمراجعة قوائم النقود المنشورة في العصر الذي يؤرخ له، ومما يؤسف له أن المصنفين في المكتبات يجعلون مراجع المسكوكات في باب الفنون مما يجعل

---

(١) رقم تصنيفه في المكتبات 737.4956

(٢) المصري، رفيق: الإسلام والنقود. جدة: جامعة الملك عبد العزيز ١٩٨١ (١٤٠١ هـ) ص ١٠ وقد قدم هذا البحث في ندوة إقتصاديات النقود والمالية في الإسلام التي عقدت في مكة المكرمة سنة ١٣٩٨ هـ وما ذهب إليه الدكتور المصري هناك أدلة وآراء تعارضه كما أوضحنا في المتن.

(٣) العزاوي، عباس: المرجع السابق – ص ٣٤ – ٣٨.

كثيرا من الباحثين لا يهتدون لمكانها، وتثبيت موضع هذه الكتب في أذهان الباحثين نورده هنا (٤ . ٧٢٧) كما نورد هنا بعض مراجع المسكوكات الهامة:

١ – «المسكوكات الإسلامية التركية» نشر المتحف التركي في اسطنبول ويعلم الباحث أن عشرة أجزاء صدرت منها، وربما ظهرت أجزاء أخرى بعد ذلك والمرجع هذا يقدم صورا للعملة ونشراً لمحتوياتها، مع تعليق وربط بالأحداث التاريخية، والمرجع لا يضم المسكوكات التركية أو العثمانية فحسب وإنما يضم ما هو موجود في المتحف من مسكوكات ترجع لعصور أقدم. إنه إذن مرجع أساسي هام لكل الباحثين في تاريخ الدولة العثمانية، وتفيد المسكوكات الأخرى في التاريخ للعصور التي تعود إليها.

٢ – النقود العربية وعلم النميات للأب أنستاس ماري الكرملي. وقد اهتم بالشق اللغوي وضبط الألفاظ اهتماماً بالغاً.

٣ – «النقود العربية ماضيها وحاضرها» و«صنج السكة في فجر الإسلام» للدكتور عبد الرحمن فهمي وقد نشر الدكتور العديد من المسكوكات الإسلامية في مرجعيه هذين وفي مراجع أخرى.

٤ – SORET, F. JACOB: EARLY DIRHEM OF THE OMMEYADE DYNASTY

٥ – Lane- Poole,stanlay:

- Catalogue of the Mohammadan coins, Preserved in the Bodleian at Oxford 1688 (oxford) 1888.

- Catalogue of the collection of oriental coins, coins of the Amawi Khalifes, London, 1874.

- Catalogue of the Collection of Arabic Coins Preserved in the Khedieviol Library at Cairo London, 1897.

متوافرة نسخة في دار الكتب المصرية

- Catalogue of the oriental Coins in the British museum. London 1875- 1890. Walker, John, Catalogue of the Arab Sassanion coins, London 1941. Cata Loue of The Arab- Byzantine & Post- Reform Umaiyad coins. London, 1956. Miles, G.C. : Coinage of the Umayyads of Spain.

2vols. New york, 1958.

وهذه مجرد أمثلة على المجموعات المنشورة وعلى الباحث متابعة ما سواها في مظانها وفي مجلات المجامع العلمية والمجلات المتخصصة في المسكوكات.

ولا تقل المسكوكات أهمية بالنسبة للتاريخ الأوروبي، لكننا ركزنا على التاريخ الإسلامي لأسباب لا تخفى. أما النقود الأوروبية المسكوكة فبدأت كأداة للتبادل التجاري في وسط إيطاليا. وكانت تقوَّم بالوزن، ومن المحتمل أن البرونز كعملة في إيطاليا كما في أجزاء أخرى من أوروبا الجنوبية كان يأخذ شكل الطقات ورءوس الفؤوس. وقبل بداية القرن الثالث قبل الميلاد وجدت الأشكال التالية:

١ – تِرْس.

٢ – سيف أو غِمد خِنْجَر.

٣ – حامِل ثلاثي القوائم.

٤ – صولجان Caduceus.

٥ – نجوم.

٦ – نَسْر برونزي.

٧ – فِيل برونزي.. الخ[1].

ثم تتابعت النقود المسكوكة بعد ذلك وقد نُشرت مئات عن العملات التي سادت في الدولة البيزنطية، والدولة الرومانية الغربية قبل سقوط رافنا والدولة الرومانية التي أحياها شارلمان وما تلا ذلك من عصور، فليرجع إليها من شاء في مظانها.

لكل ما سبق، ليس بدعا أن يذكر أحد الباحثين في مجال المسكوكات أنه قد بانت لنا بسبب النقود أمور كثيرة فسرّت التاريخ وأوضحت بعض نصوصه الغامضة أو مبهماته، وجاءت بجملة من وقائعه المشهورة.. فولدت فكرة صحيحة، وعلمنا منها أوضاعا سياسية فأدركنا العلاقة، وكل

(١) Sydenham, Edward the Coinage of the Roman Republic. London, Spink, 1952. P. xv

ما أمكن عن طريقها من روابط اقتصادية وصلات اجتماعية.

ومن النقود تنجلي ظواهر الدولة، فنعلم الحالة السياسية، والمعاملات المدنية، والعلاقات الشرعية، والأوزان المعتادة، والخطوط وتطوراتها، وسائر وسائل الحضارة مما له اتصال بها، فهي من أجل آثار المجتمع في عصوره العديدة ولو بطريق الاستنتاج والانتقال الفكري...[1].

(١) العزاوي، عباس : تاريخ النقود العراقية. بغداد، شركة التجارة والطباعة، ١٩٥٨ (١٣٧٧ هـ) ص ٥.

obeikandl.com

ثالثا : الآثار

الآثار – مثلها مثل الوثائق والمسكوكات – تتميز بأنها في كثير من الأحيان لم يقصد بها مُنْشؤها أو بانيها أن تكون شاهدا على التاريخ. وإن كانت هناك آثار كثيرة وضع أصحابها في اعتبارهم أنها ستكون شاهدا على التاريخ. فَمُشَيِّد المسجد الفخم قد يكون بناه ابتغاء مرضاة الله وليقيم الناس فيه الصلاة وقد يكون بناه وفي نفسه أن هذا الأثر سيكون مُخلِّدا لذكراه، فيتفنن في بنائه ويغرق في زخرفته.. إلا أن هذا القصد لا يقلل في الواقع من دلالة الأثر، فهو يدل على مدى ما وصلت إليه فنون البناء في حينه، وإذا كان باني المسجد أحد الحكام أو السلاطين فغالبا ما ينقش على صخور المسجد تاريخ بنائه واسم الحاكم أو السلطان وربما اسم المهندس المصمم أو كبير البنائين لهذا فإن الكتابات والنقوش في المساجد وعلى التحف والأحجار والمعادن والأخشاب والزجاج، تعد من المصادر الهامة لدراسة التاريخ الإسلامي إذا تأكدنا من نسبتها لعصرها.

والمتاحف في الغالب الأعم هي المكان الطبيعي لهذه الكتابات الأثرية[1] ومن الناحية العملية، ولاتساع المعرفة البشرية، تخصص بعض علماء الآثار الإسلامية، وأساتذة الفنون، والمتخصصون في الباليوجرافيا Paleography أو علم تطور الخطوط، في هذه الكتابات الأثرية والنقوش، فعكفوا عليها يدرسونها ويستخلصون منها ويتثبتون من صحتها. لذلك لابد للباحث في التاريخ الإسلامي من مراجعة كتابات هؤلاء حتى لا يفوته خير كثير، إذ إن الكتابات الأثرية خاصة، والآثار عامة كثيرا ما تلقي الضوء على حقائق أغفلتها الكتب أو المراجع.

ومن الأمثلة التي تدل على قيمة هذه الكتابات الأثرية أنه «ثبت لدى المؤرخين أن جامع ابن طولون بدىء في بنائه سنة ٢٦٣ هـ وتم الفراغ منه وأعد للصلاة سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨م) وذلك لوجود تاريخ الفراغ منه في النقوش التاريخية التي وجدت على لوحة من الرخام مكتوبة بخط كوفي، عثرت عليها لجنة حفظ الآثار العربية حين كانت تجرى بعض الأعمال في الجامع. وكان

(١) يمكن أن يقوم الطالب بزيارة متحف الآثار التابع لكليته والاطلاع على بعض النقوش والآثار.

بعض المؤرخين قد ذهبوا إلى أنه شرع في بناء هذا المسجد في سنة ٢٥٩ هـ (٨٧٢م) فكان العثور على تلك الكتابات سببا في وضع حد لهذا الخلاف»[١]

ومن الآثار الهامة شواهد القبور أو ما يكتبه أهل الميت على قبر المتوفي للدلالة على المكان أو للذكرى. وفي بعض الأحيان تشير هذه الكتابة النقشية إلى عقيدة المتوفي ومذهبه الديني، كما تشير إلى سنة وفاته، وقد تشير هذه النقوش على الشواهد الحجرية إلى المحاجر التي كان القوم يقطعون منها حجارتهم.

«ولقد كان الأستاذ ماكس فان برشم من أوائل من لفت الأنظار إلى أهمية الكتابة الأثرية العربية بما في ذلك النصوص الجنائزية وشواهد القبور، وقد عكف على جمع هذه الكتابات ودراستها.

وقد قام بعض الباحثين بعمل سجل جامع لهذه الكتابات، وحظيت شواهد القبور خاصة بدراسات مستقلة كان من أهمها نشر بعض مجموعات الشواهد بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

وكان من جوانب العناية بالآثار في المملكة العربية السعودية العمل على جمع شواهد القبور من مختلف أنحاء المملكة، وتم جمع أعداد كبيرة منها حفظت لدى بعض الجهات المعنية بالآثار. نذكر منها إدارة الآثار والمتاحف بالرياض ومتحف الحرم المكي الشريف، وكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة. وكان من نصيب المتحف الأثري بكلية الآداب بجامعة الرياض حفظ عدد من هذه الشواهد.

وليس من شك في أنه في الإمكان الإفادة من هذه الشواهد كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية.

ومن الواضح أن لشواهد القبور دورا مباشرا في دراسات تاريخية معينة، مثل دراسة تطور الخط العربي والزخرفة الإسلامية، لاسيما وأن كثيرا من الشواهد مؤرخ وبعضها يشتمل على أسماء كاتبيها.

كما أن دراسة الأحجار المستخدمة في عمل الشواهد، قد تساعد في التعرف على المحاجر

---

(١) حسن، علي إبراهيم: استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام، ١٩٨٠، ط ٢، ص ٥٨.

التي كانت تقطع منها الأحجار في العصور المختلفة.

ومن جهة أخرى فان الشواهد قد تمدنا بمعلومات وحقائق، تلقي بعض الضوء على جوانب مختلفة في تاريخ الجزيرة العربية. ولقد فطن بعض المؤرخين المسلمين القدامى إلى دور الكتابات الأثرية، بما في ذلك شواهد القبور، فاعتمدوا عليها في أحيان كثيرة.

ومع ذلك فليس من المتوقع أن يزودنا شاهد القبر بتاريخ للأسر الحاكمة أو تراجم للشخصيات البارزة، أو وصف لمعركة حربية أو معاهدة سياسية، على نمط ما تحققه أحيانا الكتب التاريخية، أو غيرها من المصادر الأدبية أو الوثائق الدبلوماسية التي تتناول هذه الأمور تناولا مباشرا(١).

لقد ضربنا أمثلة على أهمية الآثار بالنسبة للتاريخ الإسلامي.

أما بالنسبة للتاريخ القديم فهو معتمد اعتمادا يكاد يكون كليا على الآثار فعلم التاريخ القديم صنو علم الآثار أو قرينه.

وفي كل الأحوال لابد من التأكد من تاريخ الأثر ونسبته لعصره سواء بأساليب البحث التاريخي أم بالرجوع للمعمل وقياس زمن الأثر باستخدام الكربون ١٤.

كما يجب أن يتأكد الباحث من أن الأثر في مكانه الطبيعي ولم ينقل من مكان لآخر لإثبات هجرات مفتعلة أو حقوق تاريخية كاذبة.

الإشارة المرجعية للوثيقة والمسكوكة والأثر

عندما يستفيد الباحث من المعلومات الموجودة في الوثيقة أو المسكوكة أو الأثر فإنه يتحتم عليه أن يذكر مصدر معلوماته في هوامش بحثه Footnotes وغالبا ما يكون ذلك على النحو التالي:

---

(١) الباشا، حسن: أهمية شواهد القبور كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية في العصر الإسلامي، مع نشر مجموعة الشواهد بالمتحف الأثري بكلية الآداب جامعة الرياض (الملك سعود) في: مصادر تاريخ الجزيرة، الابحاث المقدمة للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية. الرياض، ١٩٧٧م (١٣٩٧هـ) جـ١. ص ٨١

١ – بالنسبة للوثيقة : إذا اقتبس الباحث نصاً حرفيا من الوثيقة وجب وضع هذا النص في متن بحثه بين أقواس «.....» ثم يشير لذلك في الهامش، فإن كانت الوثيقة غير منشورة بمعنى أن الباحث رجع إليها مباشرة في الأرشيف أو دار الوثائق فإنه يكتب في هامشه: اسم الأرشيف أو دار الوثائق، رقم الدفتر أو الملف أو القسم، رقم الوثيقة الأرشيفي كما وضعه موظفو الأرشيف وسنة الوثيقة أو تاريخها بدقة إن كان ذلك ممكنا وعنوان الملف أو المحفظة إن كان لها عنوان.

أمثلة:

دار الوثائق المصرية. دفتر ١٩١٢ أوامر عمومى ص ٢. صورة الأمر رقم (٢) في ٢٤ ربيع أول سنة ١٢٨٢ هـ.

دار الوثائق المصرية. ملف ٥١ دوسيه ٢ جـ ٢. الموضوع : السودان

– رئاسة مجلس الوزراء، ص ٧ ، ٨. محفظة (١) في الفترة من ١٨٢٠ إلى ١٩٤٨.

وفيما يلي إشارة لوثيقة حصل عليها الباحث من دار الوثائق البريطانية .Foreign office F. O 8411452. Kirk to F.O., 4 April 1876.

في هذه الإشارة ذكر لوزارة الخارجية البريطانية، ورقم الخطاب، وإشارة إلى مرسله (كيرك) والمرسل إليه (الخارجية البريطانية) وتاريخ الخطاب (٤ إبريل ١٨٧٦).

أما إذا كانت الوثيقة قد سبق نشرها. فتذكر المعلومات السابقة مع إضافة عبارة مثل:

(نشرت هذه الوثيقة في مرجع كذا تأليف فلان)، أو الاستعاضة عن كل ما سبق ويقوم الباحث بالكتابة في الهامش. نشرت هذه الوثيقة في المرجع الذى ألفه فلان من المؤلفين. أو الاكتفاء بالإشارة للكتاب الذي نشر الوثيقة على نحو عادى كما نشير لأي كتاب آخر.

٢ – بالنسبة للمسكوكة : إذا كان الباحث هو الذي قرأ المسكوكة مباشرة في المتحف أو المكتبة دون الرجوع لمرجع نشرها وحلل محتواها فإنه يشير في الهامش هكذا:

مسكوكة رقم ( ) في المتحف الإسلامي المصري أو المتحف العراقي... أو أي متحف آخر.

أو :

مسكوكة رقم ( ) في متحف ( ) وهي مؤرخة في ( ) وهي من (الذهب أو الفضة أو البرونز.... الخ). وفي بعض الحالات قد يفرد الباحث ملحقا للمسكوكات التي اعتمد عليها فينشرها ويحللها وفي هذه الحالة يمكن أن تكون الإشارة في الهامش هكذا:

- راجع ملحق المسكوكات. مسكوكة رقم ( ).

أما إذا كان الباحث قد رجع للمسكوكات المنشورة والتي سبق أن أشرنا لبعض مجموعاتها، فإن الإرشارة في هذه الحالة يمكن أن تكون:

- مسكوكة رقم ( ) بتاريخ ( ) في :

ثم يكتب اسم المجموعة أو الفهرس، والناشر، وتاريخ النشر، ورقم الصفحة. وإذا أجرى الباحث دراسة معملية لتحديد عمر المسكوكة أو تحديد تاريخها فإن أهمية هذه المعلومات الناتجة تجعلها جديرة بأن توضح في المتن وليس في الهوامش.

٣ - أما بالنسبة للآثار فيحسن بالباحث أن يصورها تصويرا جيدا ويلحقها ببحثه. وإذا كان الباحث هو أول من اكتشف الأثر أو أول من استقى منه المعلومات التاريخية فإن أهمية ذلك تجعله جديرا بأن يُشار إليه في المتن وليس في الهوامش. أما إذا كان الأثر مصورا ومدروسا في أحد المراجع فيكفي أن تكون الإشارة المرجعية عادية على نحو ما نشير إلى الكتب.

obeikandl.com

رابعا : الرنوك والشارات والصنج

ويقصد بها الأختام والتوقيعات والمعايير والأوزنة، وتلك تفيد كثيراً فى معرفة الأسماء والألقاب، كما أن بعض الأختام فيه من الإشارات الدينية ما يدل على المعتقد أو المذهب، كما أن المادة المصنوع منها الختم وطريقة صنعه تعطي دلالة على المستوى المادي والنفوذ اللذين يتمتع بهما صاحب الختم، كما تشير لمستوى الصنعة فى العصر الذي ينتمي إليه الختم.

وكان العرب فى صدر الإسلام يستخدمون الفخار فى صياغة الختم، أما الأمويون فقد استخدموا الشمع.

وتوجد فى متاحف البلدان العربية كثير من الأختام والشارات والصنج، وقيام الباحث بالاطلاع عليها يُعد من الأمور الهامة(١).

أما الصنج فتعني العيار والوزن، وكانت مسئولية ديوان الخراج فى العصور الإسلامية إصدار الصنوج. وعلى الصنوج كتابات عربية تفيد كثيرا فى مجال تطور الخط العربي، كما أن دراسة الصنوج هذه تفيد كثيرا فى مجال التاريخ الاقتصادي الذي أضحى فرعا مهما للدراسات التاريخية.

---

(١) قام السيد أسامة ناصر النقشبندى والفاضلة حياة مبد طي العوري بنشر مجموعة الأختام الموجودة في المتحف العراقي مع مقدمة عن الأختام في الإسلام وذلك في مطبوع عنوانه: الأختام الإسلامية في المتحف العراقي، بغداد، وزارة الأعلام، مديرية الآثار العامة، ١٩٧٤ (١٣٩٤ هـ).